أعلام المسلمين
٦١



أم سليم بنت ملحان

داعية وهبت حياتها للدعوة

تأليف

أمينة عمر الخراط

دار القلم
دمشق



تأليف

أمينة عمر الخراط


أم سليم بنت ملحان
داعية وهبت حياتها للدعوة

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص. ب: ٤٥٢٣ - هاتف: ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص. ب: ١١٣/٦٥٠١ - هاتف: ٣١٦٠٩٢

تطلب جميع منشوراتنا في المملكة العربية السعودية
من دار البشير بجدة
جدة: ٢١٤٦٣ - ص.ب: ٢٨٩٥ - هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ - ٦٦٥٧٦٢١

هـٰـذه السـيّدة

- دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرُّمَيْصاء امرأةِ أبي طلحة.

حديث شريف

- إنّ الله لا يستحيي من الحق. ولنا أن نسأل رسول الله ﷺ عما أشكل علينا خيرٌ من أن نكونَ منه على عمياء.

أم سليم

- فما سمِعْنا بمهرٍ كان أكرمَ مِنْ مهر أم سُليم: الإسلام.

ابن الجوزي

- لقد دعا لي رسول الله ﷺ حتى ما أُريد زيادةً.

أم سليم

- فما ترك رسول الله ﷺ خيرَ آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لي.

أم سليم

- جزىٰ الله أمي - أمَّ سُلَيْم - خيراً لقد أحسنَتْ ولايتي.

أنس بن مالك



الإهـــدَاء

إلـــىٰ بنـاتـــي:

زلفىٰ وروضة وهادية.

وأرجو أن تكون سيرة أم سليم

نوراً يضيء الطريق وقبساً نهتدي به.

أم بلال



بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذه هي الترجمة الثانية ـ بعد أم سلمة ـ رضي الله عنها، أُقَدِّمها لقراء سلسلة «أعلام المسلمين» التي اجتهدَتْ دار القلم الغرَّاء في طباعتها للتعريف بثمار هذا الدين الحنيف اليانعة.

وإذا كانت السيدة أم سلمة رضي الله عنها، قد ملأت عيني بعقلها الراجح، وجهادها العظيم، وعلمها الغزير، فإن السيدة أم سُلَيم بنت ملحان رضي الله عنها، مثلٌ حيّ آخر على ما صنعه هذا المنهج الرباني في النفس البشرية مِنْ تربية متوازنة متكاملة، وما يمكن أن يقدِّمه البيت المسلم للدعوة من بذل وبلاء وتضحية، فإن بيت

أبي طلحة وأم سليم كان نموذجاً للبيت الذي كانت دعوة الله شغله الشاغل.

ولقد كنت كلما قرأت في سيرتها وجهادها وبلائها شعرتُ بألم عميق يسري في نفسي: أين نحن من أولئك؟ أين نحن من هذه الفئة المجاهدة التي قدَّمَتْ دعوة الله على كل الأولويات، فبذلن حقَّ البذل وأعطين صفوة الوقت والجهد والمال للدعوة وقائدها؟.

إن البقاء في ظلال السيرة لذة لا يعادلها لذة، وذلك لأنَّ فيها كنوزاً ودروساً يمكن أن نستوحيها لعالمنا اليوم الذي يموج بحياة مادية يتسابق فيها القوم لأمر عارض زائل. فما أحرانا أن نُعرِّج على هذه السيرة الجليلة، سيرة الصحابة عموماً، رجالاً ونساءً، لنرىٰ كيف أحبَّ هؤلاء رسول الله ﷺ، وكيف خدموا دعوة الله عز وجل، وكان لديهم استعداد صادق ليبيعوا دنياهم بكل ما فيها، في سبيل أن يرضىٰ الله عنهم، وأن تَقَرَّ عينُ رسولهم ﷺ.

ويسعدني أن أقدِّمَ هذا البحث العلمي الموثق عن السيدة أم سُليم بنت ملحان، وقد جاء في عشرة فصول على النحو التالي:

١ ــ **الفصل الأول**: اسمها وكنيتها ولقبها.

٢ ــ **الفصل الثاني**: أسرتها.

٣ ــ **الفصل الثالث**: زواجها الأول والثاني.

٤ ــ **الفصل الرابع**: أولادها.

٥ ــ **الفصل الخامس**: إسلامها ومشاركتها لأحداث عصرها.

٦ ــ **الفصل السادس**: أم سُلَيم نِعْم الزوجة.

٧ ــ **الفصل السابع**: ما خصَّها به النبي ﷺ.

٨ ــ **الفصل الثامن**: محبتها للنبي ﷺ.

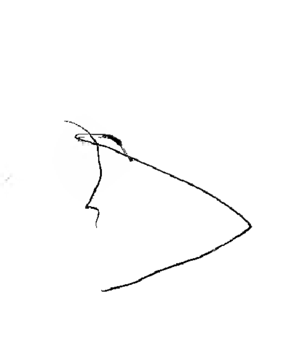
٩ ــ **الفصل التاسع**: علمها.

١٠ ــ **الفصل العاشر**: وفاتها.

ويسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى زوجي أبي بلال، فقد كان لي المشرف على إعداد هذا البحث وتوفير المراجع العلمية اللازمة، وأرجو أن يكون هذا في صحيفة أعماله، وأسأل الله عز وجل التوفيق والتسديد.

والحمد لله رب العالمين.

أم بلال



الفصل الأول

اسمها وكنيتها ولقبها

اشتهرت أم سُليم بكنيتها «أم سُلَيْم» ونَصُّوا[1] على ضبط السين بالضم، واللام بالفتح، والياء بالسكون. وإذا كانوا لم يختلفوا في كنيتها، فإنهم قد اختلفوا كثيراً في اسمها، فهي: سهلة، أو رَمْلة، أو أُنَيْفَة، أو أُنَيْسة، أو مُليكة، أو أُنيثة[2].

أمَّا لقبها: فهي الغُمَيْصاء، أو الرُّمَيْصاء بالتصغير.

وأفاد ابن حجر[3]: أن لقب أم سليم الغميصاء،

---

(١) المغني في ضبط أسماء الرجال ١٣٢.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٦٣، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤، أسد الغابة ٥/ ٥٩١، الاستيعاب ٤/ ٤٥٥، الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٤، تهذيب التهذيب ٢/ ٤٧٢.

(٣) فتح الباري ١١/ ٧٥.

ولقب أختها أم حرام الرُّمَيْصاء. وقيل بالعكس. ونقل عن ابن عبد البَرِّ أن اللقبين هما لأم سليم.

قال ابن حجر: «ويردُّه ما أخرج أبو داود بسند صحيح عن عطاء بن يسار عن الرميصاء أخت أم سليم».

ومعنى اللقبين واحد، وهو عيبٌ خَلْقي في العين، ويُطْلَقُ في لسان العرب على كوكبٍ بعينهِ لصغره وقلة ضوئه، مِنْ غَمَصِ العين، لأنَّ العين إذا رَمِصَتْ صَغُرت.

قال في اللسان[1]: «الرَّمَصُ في العين كالغَمَص، وهو قذىً تلفظ به. وقيل: الرَّمَصُ ما سالَ. والغَمَص ما جَمُد. وقيل: الرمص صغر العين ولُزوقِها. وفَسَّره ابن الأثير[2] بالبياض الذي تقطعه العين، ويجتمع في زوايا الأجفان، والرّمص: الرَّطْب منه، والغمص: اليابس.

ولم يذكر الرواة سبب تلقيبها بذلك، وإن كنت أرجِّح أن هذا اللقب لم يلحقها إلا بعد إصابتها بهذا المرض في عينيها، إن كان ثمة علاقة بين لقبها وحالة عينيها، ولم يتبيَّن لي كذلك: هل كانت إصابتها بهذا

---

(١) اللسان: رمص، غمص.
(٢) النهاية ٢/ ٢٦٣، ٣/ ٣٨٧.

المرض دائمة، أو كانت عارضة، وقد يكون هذا مجرد لقب مِنْ غير أن يكون ثمة عيب خلقي فعلاً.

ونقف على روايةٍ في «تهذيب الكمال»[1] تفيد أنَّ لقب الرميصاء خاص بأختها من الرضاعة. وقد يُطلق على أختها أم حرام بنت ملحان هذا اللقب[2].

وأم سليم أنصارية خَزْرجية[3] فهي من بني النجَّار، فهي تنتمي إلى هذه القبيلة التي كانت تسكن المدينة المنورة إلى جانب الأوس. وفي اللسان[4]: أن الأوس والخزرج ابنا قَيْلَة، وهي أمُّهما نُسِبا إليها، وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن، ومن حيث اللغة فالخزرج لغةً[5]: ريحُ الجنوب، وبه سُمِّيت القبيلة قبيلة الخزرج، وبنو النجار قبيلة الأنصار[6].

ويبقى أن أشير إلى نسبها: فهي أم سُليم بنت مِلْحان

---

(١) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٦٥.
(٢) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٣٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤.
(٤) اللسان (خزرج).
(٥) اللسان (خزرج).
(٦) اللسان (نجر).

ابن خالد بن زيد بن حرام بن جُندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية[1].

مما تقدم يتبيّن لنا اختلاف الرواة والمؤرخين في اسمها ولقبها، كما أننا لا نقف على رواية تعرِّفنا سبب اكتسابها لهذا اللقب، ولكنهم اتفقوا على كونها أنصاريةً خزرجية من بني النجار الذين عاشوا في المدينة المنورة قبل الإسلام وبعده.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤.

الفَصلُ الثاني

أسـرتهـا

ذكر أصحاب التراجم طائفة من أسرتها: أبيها وأمها وأختها وأخويها.

أ ـ أبـوهـا:

هـو: مِلْحان بـن خالد بن زيـد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار[1].

وكنا نود أن نظفر بشيء عن أبيها، بيد أننا لم نعثر على غير ما ذكر صاحب «الإصابة»[2]: أنّ رسول الله ﷺ قال: «قُتِـلَ أخوها وأبوها معي». ولم أقف على رواية

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٤، الاستيعاب ٤/ ٤٥٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤.

(٢) الإصابة ٤/ ٤٦١.

تكشف عن حادثة قتله، وإن كان هذا القول ينمُّ عن ثناء عليه. والحديث في صحيح مسلم[1] من غير إضافة «وأبوها».

* * *

ب ـ والدتها:

هي: مُليكة أو أُنَيْقة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارية[2].

وليس لدينا أية ترجمة تتحدث عن أمها هذه، حيث لا تَرِدُ في طيات السيرة وأحداثها. بيد أننا نقف عند الإمام أحمد والإمام البخاري رحمهما الله أمام حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: أن جدته مُليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعَتْه فأكل منه، ثم قال رسول الله ﷺ: «قوموا فلأصلِّ بكم»[3]. وهذا الحديث يفيد أن أمها مُليكة مسلمة حريصة على إرضائه وإطعامه والبر به ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٠٨، ٤٤ كتاب فضائل الصحابة.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٥، الإصابة ٤/ ٤٦٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ١/ ١٣١، فتح الباري ١/ ٣٨٠، ٨ كتاب الصلاة.

جـ ـ أختـهـا:

هي: أم حرام بنت ملحان الأنصارية النجارية المدنيَّة[1]. وفي «تهذيب الكمال»[2] أن لقبها الرميصاء، والحق أنَّ أم سُليم اشتهرت بهذا اللقب أكثر من شهرة أختها. وذكر في «تهذيب الكمال» أيضاً[3]: أن الرميصاء هي أخت أم سليم من الرضاعة. ولم يذكر اسم أختها هذه.

وأم حرام هي خالة أنس بن مالك، وهي زوجة عُبادة بن الصامت[4]. قال ابن حجر: «والذي يظهر لي أن عمرو بن قيس تَزوَّجها أولاً، فولدت له، ثم استشهد

---

(١) انظر في ترجمتها: الإصابة ١٣/ ١٩٣، الطبقات ٨/ ٤٣٤، سير الأعلام ٢/ ٣١٦، أسد الغابة ٧/ ٣١٧، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٣٨.

(٢) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٦٥.

(٣) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٦٥.

(٤) عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، من كبار الصحابة الذين أبلوا بلاءً حسناً في خدمة الإسلام، شهد بدراً والمشاهد المهمة. روى كثيراً من الأحاديث، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين. توفي سنة ٣٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٥.

هو وولده قيس منها، وتزوَّجت بعده بعُبادة»[1].

وكان ﷺ يُكرمها ويزورها في بيتها، ويقيل عندها. قال في الإصابة[2]: «والجواب عن دخوله ﷺ بيت أم حرام وأختها أنهما كانا في دار واحدة».

وهل عبادة ـ في وقت قيلولة النبي ﷺ عندها ـ هو زوجها، أو كانت غير متزوجة وقتها؟ قولان أشار إليهما ابن حجر[3].

وكان لهذه المرأة شرف خدمة الدعوة، وقد وصفها الذهبي[4] بأنها مِنْ عِلْية النساء.

وروى أنس قال: دخل علينا رسول الله ﷺ، ما هو إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام، فقال ﷺ: «قوموا فلأصلِّ بكم» فصلَّىٰ بنا في غير وقت صلاة[5].

وقد حَظِيَتْ أم حرام بأجر المشاركة في شرف الجهاد، وماتت شهيدة، حيث ركبت البحر غازيةً مع

---

(١) فتح الباري ١١/ ٧٥.
(٢) الإصابة ٤/ ٤٦١، وانظر: فتح الباري ١١/ ٨١.
(٣) فتح الباري ١١/ ٨٠.
(٤) سير الأعلام ٢/ ٣١٦.
(٥) سير الأعلام ٢/ ٣١٦.

زوجها. فلما خرجت ركبت دابَّتها فسقطت فماتت[1].

وذكر في «تهذيب الكمال» أيضاً: أن المسلمين لما انصرفوا من غَزاتهم قافلين فنزلوا الشام، فقُرِّبَتْ إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت[2].

عن أنس[3] أن النبي ﷺ كان إذا ذهب إلى قُباء دخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، فدخل عليها فأطعمته، وجلست تفَلِّي رأسه ـ وسيأتي تحقيق دخول رسول الله ﷺ عليها وعلى أختها ـ فنام ثم استيقظ وهو يضحك، وقال: عُرِض عليّ أناسٌ من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسِرَّة، قالت: فقلت: يا رسول الله! ادعُ الله أن يجعلني منهم. ثم نام فاستيقظ وهو يضحك. فقلت: يا رسول الله! ما يضحكك؟ فقال: «عُرِض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرَّة». قلت: يا رسول الله ادعُ الله أن

---

(١) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٤٣.

(٢) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٤١.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٦٢، الإصابة ٤/ ٤٤١، أسد الغابة ٥/ ٢٧٤. وانظر الحديث في فتح الباري ١١/ ٧٥، ٧٩ كتاب الاستئذان، ٤١ باب مَنْ زار قوماً فقال عندهم.

يجعلني منهم. قال: «أنتِ من الأولين». قال: فتزوَّجها عبادة بن الصامت، فأخرجها معه، فلما جاز البحر، ركبت دابةً فصرعَتْها فقتلتها. وكانت تلك الغزوة، غزوة قبرس. فدُفنت فيها، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك سنة سبع وعشرين.

وعن هشام قال: قبر أم حرام بنت ملحان بقبرس، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة[١]. قال الذهبي: بلغني أن قبرها تزوره الإفرنج[٢].

وذكر ابن سعد[٣]: أن لأم سُليم أختاً أخرى يقال لها: أم عبد الله بنت ملحان، وقال: إنها أسلمت وبايعَتْ رسول الله ﷺ ولم يزد على ذلك.

* * *

(١) حلية الأولياء ٢/ ٦٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣١٧.
(٣) الطبقات ٨/ ٤٣٦.

د ــ أخــواهــا :

١ ــ حرام بن ملحان[1] :

حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

شهد حرام بدراً وأُحداً وبئر معونة، وقتل يومئذٍ شهيداً في صفر في السنة الرابعة من الهجرة، وليس له عقب .

وملخص الواقعة: أن عامر بن مالك قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدعاه إلى الإسلام، فقال: يا رسول الله لو بعثتَ أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجَوْتُ أن يجيبوهم. فقال: «إني أخاف عليهم أهل نجد». فقال عامر: أنا جارٌ لهم. فبعث معه أربعين رجلاً، وفي رواية: سبعين. وكان أميرهم المنذر بن عمرو، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وقرائهم، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ثم بعثوا حرام ابن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدوِّ الله

---

(١) انظر في ترجمته الإصابة ١/ ٣١٩.

عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه وأمر رجلاً فطعنه بالحربة مِنْ خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال: فُزْت وربِّ الكعبة، ثم استنفر عدوُّ الله بني عامر لقتال الباقين فلم يجيبوه لأجل جوار عامر بن مالك، فاستنفر قبائل سليم وهم عُصَيَّة ورِعْل وذكوان فجاؤوا حتى أحاطوا بالصحب الكرام وقتلوهم عن آخرهم إلا واحداً[1].

من بعد ذلك دعا رسول الله ﷺ ثلاثين صباحاً على رِعْلٍ وذكوان وعُصَيّة الذين عصوا الله ورسوله.

وقال ابن مسعود: مَنْ سَرَّه أن يشهد على قومٍ أنهم شهدوا فليشهد على هؤلاء[2].

٢ ـ سُليم بن ملحان[3]:

سُليم بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. أمه: مُليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو ابن

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٢٢، الإصابة ١/ ٣١٩، مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥.

(٣) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٥١٦، الإصابة ٢/ ٧٤.

مالك بن النجار. وهو أخو أم سُليم بنت ملحان، وأخو أم حرام امرأة عبادة بن الصامت.

شهد سُلَيم بدراً وأحداً ويوم معونة، وقتل في يوم بئر معونة شهيداً مع أخيه، وليس له عقب.

* * *

وهكذا عَرَضْنا لهذه الأسرة الكريمة المجاهدة، حيث نشأت أم سُليم في هذا البيت المسلم قبل أن تتزوج، فأختها أم حرام من عَلِيَّة النساء ـ كما مرَّ بنا ـ وأخواها شهيدان من شهداء الإسلام في بئر معونة، ومثل هذه البيئة تفتح في نفس أم سُليم آفاقاً من التضحية والبلاء، ثم أضيف إليها العامل الثاني الذي سنتحدث عنه وهو زواجها مِنْ رجل عظيم من الذين يُشار إليهم بالبنان وهو أبو طلحة، وأما العامل الثالث فهو رعاية قائد الدعوة نفسه لها رعاية متميزة سوف نطّلع على معالمها. كل هذه العوامل رفدتها بفيض غامر من التربية في ظلال الدعوة حيث أثمرت هذه التربية امرأة وهبت نفسها للدعوة، وهذه النتيجة إذاً لم تأتِ من فراغ، وإنما جاءت من معايشتها للدعوة وصروفها.



الفَصلُ الثالث

زواجها

أ ـ زواجها الأول:

تزوجها مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد ابن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. فولدت له أنس بن مالك[1].

روت أم سُليم أنها آمنت برسول الله ﷺ، فجاء والد أنس وكان غائباً. فقال: أَصَبَوْتِ؟. قالت: ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل. قالت: فجعلَتْ تلقِّنُ أنساً وتشير إليه قل: لا إلّه إلا الله، قل: أشهد أن محمداً رسول الله. قال: ففعل. قال: فيقول لها أبوه:

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٥.

لا تفسدي عليّ ابني. فتقول: إني لا أفسده[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاءت أم سُليم رضي الله عنها إلى أبي أنس، فقالت: جئتُ اليوم بما تكره. فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي. قالت: كان أعرابياً اصطفاه الله واختاره وجعله نبياً. قال: ما الذي جئتِ به؟ قالت: حُرِّمت الخمر. قال: هذا فراق بيني وبينك[2].

للَّه درّ هؤلاء الأعراب، كأن الخمر الخبيثة امتزجت بدمائهم حتى كأنهم لا يستطيعون عنها فكاكاً. وكانوا بذلك يغضُّون النظر عن آثامها وأضرارها. فإنّ الله تعالى لم يحرم الخمر إلا لأضرارها الجسيمة، فهي أم الخبائث.

وتحاول أم سُليم رضي الله عنها جاهدة إدخال نور الإسلام إلى قلب زوجها المسكين، لعلّ الله يشرح صدره ويهديه سواء السبيل. لكن الرجل يزداد صلابة وعناداً، ويصر على كفره وضلاله. وصدق الله تعالى حيث قال:

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٦، سير الأعلام ٢/ ٣٠٥.

(٢) حياة الصحابة ٢/ ٥٨٩.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[1].

ويخرج أبو أنس هائماً على وجهه، ويتوجه إلى الشام فيهلك هناك. وقيل: لقيه عدو له في الشام فقتله[2]. فلما بلغها قَتْلُه قالت: لا جَرَمَ لا أفطم أنساً حتى يدع الثدي حيّاً، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس فيقول: قد قضت الذي عليها. فترك الثدي، فخطبها أبو طلحة وهو يومئذٍ مشرك فأبت[3]. وعرضت عليه الإسلام، فشرح الله صدره لذلك وتزوجها.

وهكذا واجهت أم سُليم قَدَرَها، حيث مرَّت بها حوادث جسيمة في حياتها الأولى، بيد أنها واجهت ذلك بثبات وتؤدة، فهي تبذل الجهد مع زوجها لتكسبه إلى الإسلام، ولكن الله عز وجل لم يكتب له الهداية، فعكفت على ابنها أنس فلقَّنَتْه الشهادة، ثم اتخذت قرارها بالإحاطة بابنها، ويبدو أن أباه عندما مات كان صغيراً فأبت أن تتزوج، وأصرَّت على أن تربِّيه حتى يكبر

---

(١) الآية ٥٦ من سورة القصص.

(٢) الاستيعاب ٤/ ٤٥٥، أعلام النساء ٢/ ٢٥٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٧.

ولا يصيبه أي ضَيْم أو ضرر في زواج جديد لها، وكانت تقول رضي الله عنها: «ولا أتزوج حتى يأمرني أنس فيقول: قد قضت الذي عليها». وسوف يمر بنا فيما نستقبل من الروايات كيف أن أنساً اعترف لها بأنها لم تنشغل عنه في حضانته وطفولته.

* * *

ب ـ زواجها الثاني:

وبعد مقتل زوجها الأول ـ أبي أنس ـ خطبها أبو طلحة رضي الله عنه، وكان وقتها مشركاً لم يدخل نور الإسلام قلبه. فقالت[1]: «لم أكن أتزوجك وأنت مشرك. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكمَ التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت؟ أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجَّرها حبشي بني فلان؟». وقالت: «فهل لك أن تشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأزوِّجك نفسي، لا أريد منك صداقاً غيره». قال: لا واللَّهِ ما هذا

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٧، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٦، حياة الصحابة ٢/ ٥٨٩.

دهرك[١]. قالت: فما دهري؟ قال: دهرك في الصفراء والبيضاء[٢]. قالت: فإني أشهدك وأشهد نبي الله ﷺ أنك إذا أسلمت فقد رضيت بالإسلام منك»[٣].

قال أنس: فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك، فأتاها يوماً فقال: الذي عرضتِ عليَّ قد قبلت[٤]. فمَنْ لي بهذا؟ قالت: يا أنس قم فانطلق مع عمك، فقام، فوضع يده على عاتقي، فانطلقنا حتى إذا كنا قريباً من نبي الله ﷺ فسمع كلامنا فقال ﷺ: «هذا أبو طلحة بين عينيه عزة الإسلام». فسلّم على نبي الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فزوَّجه رسول الله ﷺ على الإسلام[٥]. قيل: ما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سُليم: الإسلام[٦]. ونخرج من هذه الرواية بما يلي:

---

(١) دهرك: همتك وإرادتك.
(٢) الصفراء والبيضاء: الذهب والفضة.
(٣) الإصابة ٤/ ٤٦١، حياة الصحابة ٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠.
(٤) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٧، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٦.
(٥) حياة الصحابة ٢/ ٥٨٩، ٥٩٠.
(٦) صفة الصفوة ٢/ ٣٦.

١ ـ ما تملكه أم سليم من قوة الحجة، وفصاحة الجدل، فهي لم تعرض عليه الإسلام إلا بعد أن بيّنت له بالدليل العقلي فساد عقيدته. «أما تعلم أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان» ثم أثارت تفكيره ووجَّهته إلى إعمال فكره بقولها: «أما تستحي أن تسجد لخشبة».

٢ ـ رغبتها في إسلام أبي طلحة مقدمة على الصداق الذي تطمع فيه الكثيرات من الفتيات، فهي حريصة على كسب عنصر جديد إلى الإسلام. وقالت: إني لا أريد منك صداقاً غيره.

٣ ـ اجتهدت أم سُليم في أمرٍ مباح وهو أنها رفضت أن تتزوج حتى تتفرغ لتربية ولدها أنس. «لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس. ومن هنا كان أنس يقول: جزى الله أمي عني خيراً، لقد أحسنت ولايتي»[1]. فهي المرأة العاقلة الحريصة على تربية ولدها ونشأته أكثر من حرصها على الإسراع إلى الزواج بعد وفاة زوجها.

---

(١) الإصابة ٤/ ٤٦١.

وأبو طلحة رضي الله عنه[1] صاحب رسول الله ﷺ ومن بني أخواله، وأحد أعيان البدريين، وأحد الذين تميزوا بالعطاء الرحيب في سبيل الدعوة، اسمه: زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجَّاري. روىٰ عنه ربيبه أنس بن مالك، وزيد بن خالد الجهني[2]، وابن عباس، وابنه أبو إسحاق عبد الله بن أبي طلحة.

وكان أبو طلحة قد سَرَد الصوم بعد النبي ﷺ، ومن فقهه رضي الله عنه أنه كان لا يرى بابتلاع البَرَدِ للصائم بأساً، وكان يقول: ليس بطعام ولا شراب[3].

وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «صوت أبي طلحة في الجيش خير من مئة». ومناقبه كثيرة. رضي الله عنه.

وروىٰ ثابت عن أنس أن أبا طلحة صام بعد

---

(١) انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧، والطبقات الكبرى ٣/ ٥٠٤، الاستيعاب ٢/ ٣٥٣، أسد الغابة ٢/ ٢٨٩، شذرات الذهب ١/ ٤٠.

(٢) زيد بن خالد الجهني المدني، صحابي، توفي بالكوفة سنة ثمان وستين. انظر: تقريب التهذيب ٢٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧.

رسـول الله ﷺ أربعيـن سـنة لا يفطر إلا يوم فِطْرٍ أو أضحـى. وفي رواية: لا يفـطر إلا فـي سـفر أو مرض.

وكان رضي الله عنه إذا بقي مع النبي ﷺ جثا بين يديه وقال: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوِقاء. ولقد تشرَّف أبو طلحة بخدمة النبي ﷺ، وسعى في أن يكون جندياً أميناً من جنوده، وفي مسند الإمام أحمد[1]: أنا أبا طلحة كان يسوق نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جَلْدٌ يا رسول الله فوجّهني في حوائجك ومُرْني بما شئت».

وعن أنس: أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «مَنْ قَتَلَ قتيلاً فله سَلَبُه». فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم.

وروى عن النبي ﷺ نيفاً وعشرين حديثاً، منها في الصحيحين حديثان، وتفرد البخاري بحديث ومسلم بحديث[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧ ـ ٣٠.

أبو طلحة الجواد:

كان أبو طلحة رضي الله عنه جواداً سخياً معطاءً، سمع مرة صوت النبي ﷺ ضعيفاً عرف فيه الجوع، فما لبث أن طلب من زوجته أم سُليم إرسالَ ما عندها من الطعام لرسول الله ﷺ. وكان رضي الله عنه ينفق أحب أمواله إليه في سبيل الله، يبتغي بذلك مرضاة الله. ولم يُثْنه عن ذلك العزم تفكيره في ولده، وما سيؤول إليه من بعده، كما هو شأن الآباء اليوم. للَّه درّ هؤلاء الرجال لقد آثروا الحياة الباقية على الحياة الفانية وتسارعوا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض التي أعدَّها الله للمتقين. لقد باعوا أنفسهم للَّه، وقدَّموا أموالهم النفيسة رخيصة للَّه تعالى أيضاً، لأنهم أيقنوا حقّ اليقين أنَّ ما عند الله خير وأبقى، فهنيئاً لهم مسارعتهم في الخيرات، وهنيئاً لهم ما سيؤولون إليه وما سيحصلون عليه.

أخرج البخاري[1] عن أنس رضي الله عنه قال: كان

---

(١) فتح الباري ٣/ ٣٨١، ٢٤ كتاب الزكاة، ٤٤ الزكاة على الأقارب.

وفي مسند أحمد ٣/ ١١٥ رواية قريبة: «قال أبو طلحة: =

أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكان أحبَّ أمواله إليه بيرُحاء، وكانت مستقبلةَ المسجدِ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيّب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة للّه أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح. قد سمعت ما قلتَ وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

واشتهر أبو طلحة رضي الله عنه بالزهد والإقبال على الله تعالى بقلب خاشع سليم، لقد كان رضي الله عنه تقياً ورعاً، ما إن علم أن بعض أمواله ستكون سبباً في

= وحائطي الذي كان بمكان كذا وكذا، والله لو استطعت أن أسترها لم أعلنها». قال: اجعله في فقراء أهلك.

(١) آل عمران، الآية ٩٢.

إفساد عبادته حتى سارع إلى التخلص منها. كان يصلي في حائط له، فطار دبسي[1] فطفق يتردد ويلتمس مخرجاً فلا يجد، فأعجبه ـ أبو طلحة ـ ذلك فجعل يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كَمْ صلى، فقال: لقد أصابني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر الذي أصابه في صلاته، وقال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت[2].

جهاد أبي طلحة واستشهاده:

لازم أبو طلحة رضي الله عنه رسول الله ﷺ في حله وترحاله، وكان رضي الله عنه يعجبه أن يخرج دائماً مع رسول الله ﷺ إذا خرج، ويدخل معه إذا دخل، يفديه رضي الله عنه بروحه ونفسه، فها هو ذا يقف بين يديه ﷺ يوم أحد ليدافع عنه ويحميه ويبعد عنه كيد الأعداء والمشركين.

عن أنس رضي الله عنه: أن أبا طلحة رضي الله عنه كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد، والنبي ﷺ خلفه يتترَّس به ـ وكان رامياً ـ وكان إذا رُمِي رفع رسول الله ﷺ

---

(١) طائر صغير. قيل: هو ذكر اليمام.

(٢) حياة الصحابة ٣/ ٩٧.

شخصه ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك. وكان أبو طلحة يشور نفسه[١] بين رسول الله ﷺ ويقول: إني جَلْد[٢] يا رسول الله فوجهني في حوائجك ومرني مما شئت[٣]. وروى أنس قال: كان رسول الله ﷺ في سفرٍ وهي معه ـ أم سليم ـ وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقُها طُروقاً، فدنَوا من المدينة، فضربها المخاض، فاحتُبِس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، قال أنس: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبستُ بما ترى. قال أنس: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد[٤] انطلق، فانطلقنا، قال: وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاماً[٥].

---

(١) يشور نفسه: يسعى ويخف، يظهر بذلك قوته.

(٢) جَلْد: قوي شديد.

(٣) حياة الصحابة ٢/ ٣٣٤.

(٤) أي إن الطلق انجلى عنها وتأخرت الولادة.

(٥) حياة الصحابة ٢/ ١٥٨.

وقد عقد البخاري له باباً في كتاب مناقب الأنصار، سمَّاه باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه، وروى الحديث التالي: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّب به عليه بجَحَفة له (أي مترّسٍ عليه يقيه بترس). وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد القدِّ (شديد وتر القوس) يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً. وكان الرجل يمر، معه الجعبة من النبل، فيقول: انثرها لأبي طلحة. فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي لا تُشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك».

واستمر جهاده إلى آخر حياته رضي الله عنه، حتى استشهد في سبيل الله. عن أنس رضي الله عنه: أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ سورة براءة، فأتى على قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[1]، فقال: لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شباباً وشيوخاً، يا بَنيَّ جهزوني جهزوني. فقالوا: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى

---

(١) الآية ٤١ من سورة التوبة.

مات، ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات، ومع عمر رضي الله عنه حتى مات، فدعنا نَغْزُ عنك. قال: لا جهزوني. فغزا البحر، فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه بها وهو لم يتغير[1]. وقيل: إنه غزا بحر الروم فتوفي في السفينة. والأشهر أنه مات بالمدينة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه في سنة أربع وثلاثين، أو اثنتين وثلاثين، أو إحدى وخمسين[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

الفَصل الرابع

أولادهـا

١ ـ أنس بن مالك رضي الله عنه :

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد ابن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الإمام المفتي المقرىء المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة[1] الأنصاري الخزرجي النَّجَّاري المدني، خادم رسول الله ﷺ وتلميذه، وآخر الصحابة موتاً، وُلِد رضي الله عنه قبل الهجرة بعشر سنين[2]. روىٰ عن

---

(١) عن أنس رضي الله عنه قال: كَنَّاني النبي ﷺ أبا حمزة ببقلة اجتنيتها. سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٨.

(٢) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٥، طبقات ابن سعد ٧/ ١٧، الاستيعاب ١٠٨، أسد الغابة ١/ ١٥١، شذرات الذهب ١/ ١٠٠، الإصابة ١/ ٧١.

النبي ﷺ علماً جماً، وعن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ وأبي طلحة وأم سليم بنت ملحان، وخالته أم حرام وزوجها عبادة بن الصامت وأبي هريرة. . . وغيرهم.

وروىٰ عنه خلق عظيم، منهم: الحسن وابن سيرين والشعبي وعمر بن عبد العزيز وقتادة. . . وغيرهم. وكان أنس رضي الله عنه يقول: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين[1]. وروي عنه أنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا يومئذٍ ابن ثمان سنين، فذهبت بي أمي إليه فقالت: يا رسول الله إنّ رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك غيري، ولم أجد ما أتحفك به إلا ابني هذا فتقبله مني يخدمك ما بدا لك. فخدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين لم يضربني قط، ولم يسبني، ولم يعبس في وجهي[2].

صحب أنس رضي الله عنه النبي ﷺ أتم الصحبة ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر إلى أن مات ﷺ، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة وخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧.

(٢) حياة الصحابة ٢/ ٥٤١.

وعن أنس قال: دعا لي رسول الله ﷺ فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته» فالله أكثَرَ مالي حتى إنّ كرماً لي لتحمل في السنة مرتين، وولد لصلبي مئة وستة، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة.

وروىٰ أنس أيضاً: أنه دخل رسول الله ﷺ على أم سليم يوماً فأتته بتمر وسمن، فقال: «أعيدوا تمركم في وعائكم وسمنكم في سقائكم فإني صائم». ثم قام من ناحية البيت فصلى بنا صلاة غير مكتوبة، فدعا لأم سُليم وأهل بيتها، فقالت: يا رسول الله! إنّ لي خويصة. قال: «وما هي؟»، قالت: خادمك أنس. فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به. ثم قال: «اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له فيه». قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً. وحدثتني أمينة ابنتي: أنه قد دُفِنَ من صلبي إلى مَقْدَم الحجاج البصرة تسعةٌ وعشرون ومئة[1].

ولازم أنس بن مالك رضي الله عنه رسول الله ﷺ يستقي من نبعه الصافي العلم الجمّ الوفير. وقال له رسول الله ﷺ يوماً: «يا بني! إنْ قدرت أن تصبح

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩.

وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعَلْ، ثم قال: يا بني وذلك من سُنَّتي، ومن أحب سُنتي فقد أحبني، ومَنْ أحبني كان معي في الجنة»[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سُليم ـ يعني أنساً ـ. وقال أنس بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر. وروى الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال: كان أنس يصلي حتى تقطر قدماه دماً ممّا يطيل القيام رضي الله عنه[٢].

مسنده ألفان ومئتان وستة وثمانون. اتفق له البخاري ومسلم على مئة وثمانين حديثاً، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً، ومسلم بتسعين[٣].

وقد حفظ أنس رضي الله عنه سرَّ النبي ﷺ، عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ يوماً حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمته، قلت: يقيل النبي ﷺ، فخرجت

---

(١) حياة الصحابة ١/ ٣٤.
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٦.

من عنده، فإذا غلمة يلعبون فقمت أنظر إلى لعبهم، فجاء النبي ﷺ فانتهى إليهم، فسلّم عليهم، ثم دعاني فبعثني إلى حاجة. فكأنه في فـيّ حتى أتيته، فأبطأت على أمي، فقالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني النبي ﷺ إلى حاجة، قالت: وما هي؟ قلت: إنه سرّ للنبي ﷺ، فقالت: احفظ على رسول الله ﷺ سرّه. فما حدثتُ بتلك الحاجة أحداً من الخلق[١].

ومن التأييدات التي اختصه الله بها نزول الغيث بدعائه رضي الله عنه. أخرج ابن سعد عن ثمامة ابن عبد الله قال: جاء أنساً رضي الله عنه أكارُ بستانه في الصيف، فشكا العطش، فدعا أنس بماء فتوضأ وصلى، ثم قال: هل ترى شيئاً؟ فقال الأكار: ما أرى شيئاً. فدخل أنس فصلى، ثم قال في الثالثة أو الرابعة: انظر. قال الأكار: أرى مثل جناح الطير من السحاب. قال: فجعل أنس يصلي ويدعو، حتى دخل عليه الأكار فقال: قد استوت السماء ومطرت[٢]. وفي رواية: فأرسل أنس

---

(١) حياة الصحابة ٢/ ٥٠٣.

(٢) الطبقات ٧/ ٢١، حياة الصحابة ٣/ ٦١٧ ـ ٦١٨.

بعض أهله فقال: انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تعدُ أرضه إلا يسيراً[1].

واختلفوا في موته. قيل: سنة إحدى وتسعين. وقيل: سنة اثنتين وتسعين. وقيل: ثلاث وتسعين. فيكون عمره على هذه مئة وثلاث سنين[2].

٢ ـ أبو عمير بن أبي طلحة:

وهو ولد أم سُليم الثاني، حيث تمر الأيام وترفرف السعادة في أجواء ذلك البيت المسلم الصغير، ويرزق الأبوان الصالحان ـ أبو طلحة وأم سُليم ـ بمولود ذكر يسميه أبوه ـ أبا عمير ـ فيملأ أبو عمير هذا جنبات البيت بتغريده وصيحاته، حتى إذا درج وترعرع، وأعجب به أبوه، يشاء الله تعالى المرض لهذا الطفل الصغير المحبوب، ويمر رسول الله ﷺ ذات يوم بأم سُليم فيقول: «يا أم سُليم ما شأني أرى أبا عمير ابنك خائر النفس؟»، فتقول: يا نبيَّ الله ماتت له صَعْوة[3] كان

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٠. والأكَّار: الذي يحرث الأرض.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٦.

(٣) الصعوة: من صغار العصافير، حمراء الرأس.

يلعب بها. فجعل النبي ﷺ يمسح رأسه ويقول: «يا أبا عمير ما فعل النغير»[1].

ويفتك المرض بجسم ذلك الطفل النحيل. ويفترسه الموت بأنيابه، فيستسلم لقضاء الله وقدره. وستأتي قصة وفاته مفصلة في قصة صبر أم سليم وأبي طلحة على وفاة ولدهما إن شاء الله.

٣ ـ عبد الله بن أبي طلحة:

وأما الولد الثالث لأم سليم، فهو: عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري. أخو أنس بن مالك مع اختلاف الأب، وُلد في حياة الرسول ﷺ فحنَّكه، وهو الذي حملت به أم سُليم ليلة مات ولدُها أبو عمير، فكتمت أبا طلحة خبر موته حتى تعشَّىٰ، وتصنَّعت له رضي الله عنها حتى أتاها، وحملت به، فأصبح أبو طلحة غادياً على رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «أعرستم الليلة! بارك الله لكم في ليلتكم»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٦، الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

مــولــده:

كان أبو طلحة رضي الله عنه ملازماً لرسول الله ﷺ محباً له، يخرج معه إذا خرج، ويدخل معه إذا دخل. وكان رسول الله ﷺ مرة في سفر وأم سُليم وأبو طلحة معه. يقول أنس رضي الله عنه: وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة لا يطرقها طروقاً[1]، فضربها المخاض[2]، واحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، فقال أبو طلحة: يا رب إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخلُ معه إذا دخل، وقد احتُبِسْتُ بما ترى. قال: تقول أم سُليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد، فانطلقنا. قال: وضربها المخاض حين قدموا فولدت غلاماً. فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعنّه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ. قال: فلما أصبحت احتملتُه وانطلقتُ به إلى رسول الله ﷺ، فصادفته ومعه ميسم فلما رآني قال: «لعل أم سُليم ولدت»؟ قلت: نعم. فوضع الميسم. قال: فجئت به فوضعته في

(١) لا يطرقها طروقاً: لا يدخلها ليلاً.

(٢) المخاض: الطلق ووجع الولادة.

حجره. قال: ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابَتْ، ثم قذفها في فـي الصبي، فجعل الصبي يتلمظ. فقال رسول الله ﷺ: «انظروا حُبَّ الأنصار التمر». قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله[1]. وفي مسند الإمام أحمد[2]: «فكان أول مَنْ فتح أمعاء ذلك الصبي على ريق رسولُ الله ﷺ.

نشأ عبد الله وقرأ العلم، وجاءه عشرة أولاد قرؤوا القرآن، روىٰ أكثرهم العلم، منهم: إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة[3]، وعبدالله بن عبدالله بن أبـي طلحة. حَدَّث عنه ابناه هذان، وأبو طوالة وسليمان مولىٰ الحسن بن علي وغيرهم. وهو قليل الحديث يروي عن أبيه وعن أخيه أنس بن مالك. روى له مسلم والنسائي.

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٨١.

(٣) سمع من عمه أنس بن مالك. وأبي مرة مولى عقيل، والطفيل ابن أُبي، وسعيد بن يسار وجماعة. وسمع عنه: عكرمة ابن عمار، وهمام بن يحيـى، ومالك، وابن عيينة، وجماعة. وكان مالك يثني عليه ولا يقدم عليه أحداً. مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة. وقيل: سنة أربع وثلاثين ومئة. روى له الجماعة. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣ ـ ٣٤.

مات قبل أنس بمدة ليست بكثيرة[1]. وفي مسند الإمام أحمد[2] أنه استشهد بفارس.

وقد ورد في مُسند الإمام أحمد[3] أن لأم سُليم ولداً آخر اسمه البراء. والذي في تراجم الصحابة البراء بن مالك وهو أخو أنس لأبيه، وليست أمه أم سليم لأن أم البراء هذا سمحاء، فيكون لمالك أبي أنس زوجتان: أم سليم وأنجبت أنساً، وسمحاء وأنجبت البراء[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٨١.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٨١.

(٤) انظر الإصابة ١/ ١٤٣ وردَّ على ابن سعد الذي ذهب إلى أن البراء أخو أنس لأمه وأبيه.

الفَصل الخامِس

إسلامها ومشاركتها لأحداث عصرها

وينبلج فجر الإسلام، ويمتد نوره إلى يثرب، وينتشر عبيره في الأجواء، ويشعُّ في البيوتات. وتسمع أم سُليم بالدين الجديد فتهرول مسرعة باحثة مستفسرة عنه، حتى إذا اطمأنت إليه وعرفت أنه الحق، لم تلبث إلا قليلاً حتى دخل الإيمان قلبها، وشرح الله صدرها فأعلنت إسلامها، ورضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً.

أسلمت أم سُليم مع السابقين إلى الإسلام[1] من الأنصار من قومها، وبايعت رسول الله ﷺ، وعرضت الإسلام على زوجها مالك بن النضر أبي أنس بن مالك،

---

(١) الإصابة ٤/ ٤٦١، الطبقات ٨/ ٤٢٥، الاستيعاب ٤/ ٤٥٥.

فغضب عليها وخرج إلى الشام، فهلك هناك.

ولم أقف على رواية تشرح قصة إسلامها والمناسبة التي جعلت ضميرها يتفتَّح لنوره.

والنساء شقائق الرجال لهنّ من الأجر ما للرجال إذا سعين في عمل طيب يقمن به ويبتغين بذلك وجه الله. قال تعالى في سورة الأحزاب[1]: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فالمرأة لم تُخلق لتقوم على خدمة بيتها وزوجها وأولادها فحسب، بل لها أن تشارك الرجل في خدمة الدعوة ضمن الضوابط الشرعية. ها هي المرأة في صدر الإسلام تشارك الرجل جهاده وبلاءه، فتقوم على مداواة المرضى وتضميد جراحهم، وسقي العطشى، ونقل

(١) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

المؤونة للجيش، وبث روح الشجاعة والحماسة في صفوف المجاهدين دفاعاً عن دينها وعرضها، وردّاً لكيد الكفار الحاسدين. بل إن النصوص أفادت أن بعضهن حملن السلاح حينما لزم الأمر.

ولقد اشتُهر عن أم سُليم رضي الله عنها أنها اشتركت في كثير من المعارك والغزوات مع رسول الله ﷺ، وكان جهادها كما ذكرت لنا كتب السير ينحصر في مداواة الجرحى وسقي العطشى ومساعدة المجاهدين، ولما أحست بالخطر يداهم الجيش الإسلامي حملت السلاح، واستعدت للدفاع عن نفسها وعن رسول الله ﷺ وعن المسلمين.

فقد شهدت رضي الله عنها يوم أحد، وسقت فيه العطشى وداوت الجرحى[1]. وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم رضي الله عنهما، وإنهما لمشمِّرتان أرى خَدَم[2] سوقهما

---

(١) المغازي ٣/٩٠٣، أعلام النساء ٢/٣٥٧.

(٢) الخدمة: الخلخال. والجمع خَدم، وخِدام. وقد تسمى الساق خَدَمة.

تُنْقِزان[1] القِرب على مُتونهما، تُفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم[2]

ففي معركة أحد برز دور هذه المجاهدة في عملين عظيمين يناسبان مَلَكاتِ النساء وقُدُراتِهنّ أكثر مما يناسبها الاشتراك في حمل السيوف وقتال المشركين.

العمل الأول: سقي الجيش وتوفير طاقة الرجال لتتفرغ للقتال في ساحة المعركة.

العمل الثاني: في مداواة الجرحى، وهو عمل جليل يؤدي خدمة عظيمة لمن أعاقته الجروح عن متابعة المعركة.

وكان لها رضي الله عنها فضل المشاركة في يوم حنين، وأبلت فيه بلاءً حسناً. ومعلوم أمر حنين حيث انفرط عقد فريق من المسلمين فارتاعوا وفزعوا، وضعف يقينهم إلى جانب الحق، فذكرت لنا كتب السيرة أن

---

(١) تنقزان: أي تحملانها وتقفزان وثباً.

(٢) صحيح البخاري: ٦٣ كتاب مناقب الأنصار، فتح الباري ٧/ ١٦٠. الرحيق المختوم ٣١٠، حياة الصحابة ١/ ٥٩٣، حلية الأولياء ٢/ ٦١.

أم سُليم كانت مع الثابتين الذين حافظوا على صلابة ارتباطهم بالقائد وكلمته مهما كانت المفاجآت التي انبلجت عنها الأحداث المفزعة، واجتهدت أن تصون نفسها ودعوتها في هذا الموقف العصيب الدقيق فحزمت خنجراً على وسطها وهي حامل يومئذٍ بعبد الله بن أبي طلحة، وقد روي عن أنس رضي الله عنه: أنها اتخذت في يومها خنجراً. فقال أبو طلحة: يا رسول الله! هذه أم سُليم معها خنجر. فقالت: يا رسول الله أتخذه إن دنا مني أحد من المشركين بقرتُ به بطنه[1]. وفي رواية: بعجت به بطنه، أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم انهزموا بك، وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك، فإنهم أهل لذلك. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «يا أم سُليم إن الله قد كفى وأحسن»[2].

إنها لم تكتف بالتأييد العاطفي للجيش المسلم المقاتل، وإنما ودَّتْ أن تعترض الفارين المنهزمين لتفرغ فيهم غيظها الشديد مِنْ سوء تصرفهم هذا. ولعل هذا

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣٦.

(٢) الطبقات ٨/ ٤٢٥، الإصابة ٤/ ٤٦١، مسند الإمام أحمد ٣/ ١٠٨.

لفتة منها تُنبىء عن حماستها في متابعة المعركة بما تملكه من طاقة محدودة. وقد لا تكون أم سُليم قد اعترضت أحداً فعلاً وباشرته بخنجرها، ولكنه موقف ينمّ عن أنها تعيش أحداث المعركة، وتتهيأ نفسياً ومعنوياً لها. كما أن أم سُليم تحتاط لنفسها إذا داهمها العدو وحيدة وقد انشغل الرجال عنها لأنهم يقاتلون في وسط المعركة، فلِمَ تذهب هدراً رخيصة إن همّ العدو أن يفاجىء وسط النساء بهجومه، لِـمَ تكون رخيصة أمام هذه المفاجأة، ها هو خنجرها مسلط على كل مَنْ تُسَوِّل له نفسه الاعتداء، إنها المقاتِلة التي يبرز دورها عند الحاجة اللازمة فتثبت ولا تكون لقمة سائغة للعدو المداهم. ونقل ابن هشام لنا في سيرته وصفاً رائعاً لثبات أم سُليم وشجاعتها يوم حنين العصيب. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله ابن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سُليم بنت ملحان وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها ببُرد لها[1] وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يَعُزَّها الجمل[2]، فأَدْنَتْ

---

(١) البرد: الثوب المخطط.

(٢) يعزّها: يغلبها.

رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته[1] مع الخطام.

للَّه درّك يا أم سُليم: لم يمنعك حملك بولدك عبد الله وما يرافقه من وهن على وهن أن تكوني في وسط المعركة يوم حنين.

للّه درّك يا رميصاء: تستكتبين في غزوة حنين لئلا تُحرمي من الأجر العظيم، وليكون لكِ شرف الرفقة تاجاً على رأسك مع أنك حامل، ومضيت تعدّين للأمر عدَّته وأسبابه، فاخترت موقعاً من المعركة يجعلك قريبة من زوجك الحبيب، واجتهدتِ في شدّ بطنك بالبُرد ليساعدك الشد على الحركة فلا تعيقك البطن المملوءة، وهذا الجمل جمل أبي طلحة دابة لا تعقل فخشيتِ أن يغلبك الجمل ويفلت منك فتصرَّفْتِ منه تصرُّفاً يحبسه.

هذا المشهد الذي يرسم انفعالها واستغراقها لخدمة الدعوة من موقعها وإمكاناتها، حرَّك مِنْ مشاعر رسول الله ﷺ، وهو الإنسان الممتلىء عاطفة وتقديراً للعاملين من صحابته، فبادرها بالقول: أم سُليم؟.

---

(١) الخزامة: حلقة من شعر تجعل في أنف البعير.

وكأني به ﷺ راضٍ عنها، مفعم بالراحة من بلائها، معجب ببذلها في موقف عصيب صعيب.

قالت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد كفى وأحسن».

وقد تشير بعض الروايات إلى اشتراك أم سُليم ببعض الغزوات كغزوة خيبر، فقد رافقت الجيش المسلم[1] ولم تذكر لنا هذه الروايات طبيعة عملها في هذه الغزوة. وقد أبرز ابن هشام دور أم سليم في عمل أنثوي له أهميته في عالم النساء، يناسب طبيعة أنوثتها، ويبدو أنها تملك خبرة متميزة في هذا الجانب، فقد عزم الرسول ﷺ على الزواج من صفية حين عودته من غزوة خيبر، فعكفت أم سُليم على العروس ومضت تجمِّلها وتزيِّن جَلْوَتها. وهذا يدل على أنها امرأة متميزة لها ملكاتها وقدراتها الخاصة.

---

(١) المغازي ٢/ ٦٨٥.

عن أنس رضي الله عنه قال: انصرفنا مع رسول الله ﷺ من خيبر، وهو يريد وادي القُرى، ومعه أم سُليم بنت ملحان. ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر أو ببعض الطريق، كانت التي جمّلتها لرسول الله ﷺ ومشطتها، أو أصلحت من أمرها أم سُليم[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠. ومسند الإمام أحمد ٣/ ١٠٢، المغازي ٢/ ٧٠٧.



الفَصل السَادس

أم سُليم نعم الزوجة

إلى جانب ما اتصفت به أم سليم رضي الله عنها من صفات الشجاعة وخدمة الدعوة بما يناسب قدراتها. كانت رضي الله عنها مثالاً رفيعاً للزوجة الصالحة التي تعد حسن تبعُّلها لزوجها من العناصر الرئيسة التي ينبغي أن تحرص عليها المرأة المسلمة. فقد روى البزار عن ابن عباس[1] قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله! أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن نُصِبوا أُجِروا، وإن قتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، ونحن معشرَ النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أبلغي مَنْ لقيت

---

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ٢/ ١٨١.

من النساء أنّ طاعة الزوج اعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكنَّ مَنْ يفعله».

فالاعتراف بحق الزوج وما يتبعه من حسن التبعل، يرفع بالزوجة إلى مقام عظيم.

وفي الحديث كذلك: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجدَ لزوجها»[1].

والأحاديث كثيرة، وكلها تشير إلى واجب أكيد منوط بالمرأة، وهو النظر إلى زوجها نظرة اعتراف بحقه، وتقدير له، وحرص عليه، وإحاطة به، ولأم سُليم مواقف طيبة في ذلك. ولا غرو فهي المتخرجة في مدرسة النبوة، وإليك شواهد ذلك:

أ - في الحديث الشريف الذي رواه البخاري[2] عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «اشتكى ابنٌ لأبي طلحة، قال: فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته

---

(١) رواه البزار. انظر كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ٢/ ١٧٩.

(٢) ٢٣ كتاب الجنائز، ٤١ باب مَنْ لم يظهر حزنه عند المصيبة، الفتح ٣/ ٢٠١.

أنه قد مات هيأت شيئاً ونَحَّتْه في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة. قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح. وظن أبو طلحة أنها صادقة. قال: فبات فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلَمَتْه أنه قد مات. فصلىٰ مع النبي ﷺ، ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منهما. فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما». فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن».

وبيّن ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث أن الابن المذكور المتوفى هو أبو عمير الذي كان النبي ﷺ يمازحه ويقول له: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر». ويذكر ابن حجر روايات عن الولد: فهو صبيح، وكان أبو طلحة يحبه حباً شديداً، فعاش حتى تحرك فمرض، فحزن أبو طلحة عليه حزناً شديداً حتى تضعضع، وأبو طلحة يغدو ويروح على رسول الله ﷺ، فراح رَوْحَةً في أواخر النهار وهو صائم فمات الصبي. فالأب مولع بابنه ولعاً شديداً، وقدرُ الله لا مفرَّ منه.. فكيف تصرَّفت أم سليم إزاء زوجها؟ وهي مثله قد نُكبت بوليدها؟ بيد أن حسن التَّبَعُّل الذي

أقرَّته على نفسها دفعها إلى أن تكتم لواعجها وآلامها من ناحية، ثم تنتقل إلى التخفيف من معاناة زوجها.

ويذكر شراح الحديث عن موقف أم سليم، فقد أعدَّتْ طعاماً لأبي طلحة لأنه صائم، وهيأت حالها بأن تزيَّنت له، وقامت بتجهيز الصبي بأن غَسَّلته وكفَّنته وحَنَّطته، وسَجَتْ عليه ثوباً، وجعلته في جانب البيت. وبدأت أم سُليم تعد نفسها للقاء زوجها على نحوٍ لا يزعجه، وعندما بادرها بالسؤال، قالت: إن نفسه قد سكنت. وهذا جواب المعاريض، فالمعنى أن النفس كانت قلقة منزعجة بعارض المرض، فسكنت بالموت. وظن أبو طلحة أن مرادها أنها سكنت بالنوم لوجود العافية. وفي رواية من روايات الحديث: هو أسكن ما كان، بخير ما كان، أمسىٰ هادئاً. ثم تابعت حديثها: وأرجو أن يكون قد استراح. قال ابن حجر[1]: «لم تجزم بذلك على سبيل الأدب. ويحتمل أنها لم تكن قد علمت أن الطفل لا عذاب عليه. ففوضت الأمر إلى الله مع وجود رجائها بأنه استراح من نكد الدنيا».

---

(١) فتح الباري ٣/ ٢٠١.

وظن أبو طلحة أنها صادقة بالنسبة إلى ما فهمه من كلامها، وإلا فهي صادقة بالنسبة إلى ما أرادت. ومضت المرأة تبدي حسن تبعلها، فقربت إليه العشاء، فتعشىٰ.

وتذكر بعض الروايات: «وتطيَّبت».. «ثم تصنَّعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، وتعرضت له، فكان منه ما يكون من الرجل مع زوجته». وفي مسند أحمد[1]: «فأكل وطابت نفسه قال: فقام إلى فراشه فوضع رأسه، قالت: وقمت أنا فمسست شيئاً من طيب ثم جئت حتى دخلت معه الفراش، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب، فكان منه ما يكون من الرجل إلى أهله». فلما أصبح أبو طلحة اغتسل. وحين همّ بالخروج قالت أم سُليم: يا أبا طلحة أرأيت لو أنّ أقواماً أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا ليس لهم ذلك، إن العارية مؤدَّاة إلى أهلها. قالت: فاحتسب ابنك، إن الله أعارنا فلاناً ثم أخذه منا. فاسترجعَ.

وقد تذكر بعض الروايات في هذا المقام ضرباً من الانفعال يبديه أبو طلحة حيث قال لها: «تركْتِني حتى

---

(١) مسند أحمد ٣/ ١٨١.

تلطَّخْتُ ثم أخبرتِني بابني»[1]. ويمضي أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فيحكي له ما جرى في بيته فيقول له رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما». فولدت أم سليم غلاماً هو عبد الله، حيث كان مِنْ عقبه تسعة أولاد، فقد أصابه من دعاء النبي ﷺ. والأولاد هم: إسحاق، وإسماعيل، وعبد الله، ويعقوب، وعمر، والقاسم، وعمارة، وإبراهيم، وعمير، وزيد، ومحمد، وأربع من البنات.

وفي روايةٍ في مسند أحمد[2]: «رجع إلى أهله ومعه أناس من أهل المسجد من أصحابه قال: ما فعل الغلام؟ قالت: خير ما كان. فقربت إليهم - أم سليم - عَشاءهم، فتعشَّوا، وخرج القوم. وقامت المرأة إلى ما تقوم إليه المرأة».

وهذه الرواية تكشف عن جانب عظيم ارتقت إليه هذه المرأة الثكلىٰ، حيث فقدت وليدها الصغير قبيل فترة وجيزة، فيدخل إليها زوجها ومعه أصحابه، ومعشر

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٠٩، ١٠٧ كتاب فضائل الصحابة.
(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٠٥.

الرجال في مثل هذا الموقف يتطلعون إلى أن تكون سيدة البيت جاهزة لخدمتهم، فلم تقصِّر أم سُليم، فها هي تنسى مصيبتها وتجهز لضيوف زوجها الطعام، وكأن شيئاً لم يكن. وهذا كله في الوقت الذي هيأت للضيوف الجو النفسي المناسب حين استعملت لغة المعاريض في جوابها عن سؤال زوجها:

ـ ما فعل الغلام؟

ـ خير ما كان.

ويأتي العنصر الثالث في هذه الرواية وهو «وقامت المرأة إلى ما تقوم إليه المرأة». وهو الذي تحدَّثْنا عنه آنفاً بما يشير إلى حسن تبعلها، فهل تكون هذه العناصر مجتمعة في أمثال هذه المرأة إلا بعد تربيةٍ عالية واستعداد كبير؟.

وقد استنتج العلماء[١] من قصة أم سليم مع زوجها فوائد كثيرة منها: جواز الأخذ بالشدَّة، وترك الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عن المصائب، وتزيُّن المرأة لزوجها، وتعرُّضها لطلب الجماع منه، واجتهادها في

---

(١) فتح الباري ٣/ ٢٠٤.

مصالحه، ومشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها، وشرط جوازها أن لا تُبطل حقاً لمسلم. قال ابن حجر[1]: «وكان الحامل لأم سُليم على ذلك المبالغة في الصبر والتسليم لأمر الله تعالى، ورجاء إخلافه عليها ما فات منها، إذ لو أعلمتْ أبا طلحة بالأمر في أول الحال لتنكّد عليه وقته، ولم تبلغ الغرض الذي أرادته، فلمّا علم الله صدق نيتها بلّغها مُناها وأصلح لها ذريتها».

وفي الحديث كذلك إجابة دعوة النبي ﷺ وأنّ مَنْ ترك شيئاً عَوَّضه الله خيراً منه، وبيان حال أم سُليم من التجلد وجودة الرأي وقوة العزم.

ومما استنتجوه من الحديث: مشروعية المعاريض الموهمة[2] وهو جمع مِعْراض من التعريض بالقول، وهو خلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشيء.

وعندما وُلدت أم سُليم، حرصت على أن يدعوَ الرسول ﷺ للمولود، فأرسلَته إليه ومعه تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذ مِنْ فيه، فجعلها في فم

(١) فتح الباري ٣/ ٢٠٤.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٦١٠.

الصبي، وحنّكه به وسمَّاه عبد الله[1].

وكانت أم سليم نِعْمَ الزوجة المطيعة لزوجها أبي طلحة، لا تخالفه في أمر، ولا تعصيه في مسألة، وكانت تهبُّ لتنفيذ ما يراه. فقد سمع أبو طلحة مرة صوت النبي ﷺ ضعيفاً عرف فيه الجوع، فما لبث أن أمر زوجته بإرسال ما عندها من الطعام لرسول الله ﷺ. فما كان من الزوجة المطيعة الملبية أم سليم إلا أن أخرجت أقراصاً من شعير وأرسلتها إليه[2].

وأعود إلى حسن تبعُّل أم سليم، وأقول: ليس غريباً على أمثالها، فنحن نقرأ في سيرة الصحابيات كثيراً من الروايات التي تشير إلى ذلك، ومن ذلك قصة أسماء بنت أبي بكر، حيث جاء في الحديث الذي ترويه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه[3]، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته

---

(١) حياة الصحابة ٢/ ٥٩١.

(٢) فتح الباري ٩/ ٤٣٧.

(٣) الناضح: الثورُ يُستقىٰ عليه الماء.

وأسوسه، وأدق النوىٰ لناضِحِه وأعلفه، وأستقي الماء، وأخرز غَرْبه[1]، وأعجن، وكنت أنقل النوىٰ على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إليّ أبو بكر بجارية، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقتني. ولقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه والنوىٰ على رأسي، فقال ﷺ: «إخ إخ» لينيخ ناقته، ويحملني خلفه، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال، وذكرتُ الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لَحَمْلُك النوىٰ على رأسك أشدُّ عليّ مِنْ ركوبك معه[2].

---

(١) الغَرْب: الدلو تتخذ من جلد ثور، وخَرَزَها: خاطها.
(٢) رواه البخاري: ٦٧ كتاب النكاح، فتح الباري ٩/ ٢٣٠.

الفَصْل السَّابع

ما خصها به النبي ﷺ

مَنْ يطالع في سيرة أم سُليم يعجب من أمر هذه المرأة التي وهبت نفسها للدعوة، فصارت هذه الدعوة شغلها الشاغل، ومستقر أفراحها وأحزانها، كما أنّ قائد الدعوة ﷺ كان بالنسبة إليها الإمام القدوة الذي يُقتدى بالغالي والنفيس، فكانت حريصة على أن يكون في سؤدد ومنعة وراحة واستقرار، ورسول الله ﷺ إذ يلمسُ منها ذلك كان يعطيها حقها من التكريم والتقدير والخصائص رداً على جميلها ووفاءً بمواقفها من دعوة الله. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وسوف نستعرض في هذا الفصل مما خصّها به النبي ﷺ من هذا الجانب:

١ ــ كان رسول الله ﷺ يكثر الدخول على أم سليم، وعلى أختها أم حرام تقديراً منه ﷺ لهذه الأسرة

الكريمة، صرّح بذلك أنس بن مالك رضي الله عنه الذي قال: كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا على أم سُليم فإنه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك، فقال: «إني أرحمها قُتل أخوها وأبوها معي»[1]. وفي صحيح مسلم عن أنس قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأُتِيَتْ فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك[2].

والسؤال الآن: كيف يجوز لرسول الله ﷺ أن يدخل على هاتين المرأتين الأختين أم سليم وأم حرام وليس عندهما أحد؟ وثبت دخوله ﷺ على أم حرام بما ورد في الحديث الذي رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا ذهب إلى قباء دخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، فدخل عليها فأطعمته وجلست تُفَلِّي رأسه، فنام ثم استيقظ وهو يضحك[3].

---

(١) الإصابة ٤/ ٤٦١.

(٢) ٤٣ ـ كتاب الفضائل برقم ٢٣٣١، صحيح مسلم ٤/ ١٨١٥.

(٣) فتح الباري ١١/ ٧٥، ٧٩ كتاب الاستئذان، ٤١ باب مَنْ زار قوماً.

الجواب: أنهما كانتا من محارمه، حسب مذهب الجمهور. وقد بحث ابن حجر المسألة في «فتح الباري»[1] وعرض الآراء التالية:

الرأي الأول للنووي قال[2]: «كانتا خالتين لرسول الله ﷺ، مَحْرَمين إمَّا من الرضاع، وإمَّا من النسب، فتحل له الخلوة بهما، وكان يدخل عليهما خاصة لا يدخل على غيرهما من النساء إلا أزواجه. قال العلماء: ففيه جواز دخول المَحْرم على مَحْرمه، وفيه إشارة إلى منع دخول الرجل على الأجنبية وإن كان صالحاً، وفيه ما كان عليه ﷺ من الرحمة والتواضع وملاطفة الضعفاء. فلذلك كان ينام ﷺ عندها، وتنال منه ما يجوز للمحرم أن ينالَه مِنْ محارمه. وإنما استجاز رسولُ الله ﷺ أن تفلي أم حرام رأسه لأنها كانت منه ذات محرم من قبل خالاته، لأن أم عبد المطلب جده كانت من بني النجار.

---

(١) فتح الباري ١١/ ٨٠.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٠، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٦٣.

ومن طريق يونس بن عبد الأعلى قال: قال لنا ابن وهب: أم حرام إحدى خالات النبي ﷺ من الرضاعة، فلذلك كان يقيل عندها، وينام في حُجرها، وتِفَلِّي رأسه، وأيهما كان فهي محرم له.

الرأي الثاني: ونقله ابن حجر[١]: إنما كانت خالة لأبيه أو جدِّه عبد المطلب.

الرأي الثالث: قال ابن الجوزي[٢]: سمعت بعض الحفاظ يقول: كانت أم سُليم أخت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ من الرضاعة.

الرأي الرابع: مذهب ابن حجر وابن العربي[٣]: أن ذلك من خصائصه ﷺ، لأنّ النبي ﷺ معصومٌ يملك إربه عن زوجته، فكيف عن غيرها ممَّا هو المنزَّه عنه؟، وهو المبرأ عن كل فعل قبيح وقول رفث، فيكون ذلك من خصائصه ﷺ.

وتابع ابن حجر يقول: ويحتمل أن يكون ذلك قبل

---

(١) فتح الباري ١١/ ٨٠.
(٢) فتح الباري ١١/ ٨٠.
(٣) فتح الباري ١١/ ٨٠.

الحجاب. ورُدّ بأن ذلك كان بعد الحجاب جزماً بعد حجة الوداع.

وردَّ عياض هذه الخصيصة بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال، وثبوت العصمة مُسَلّم لكن الأصل عدم الخصوصية، وجواز الاقتداء به في أفعاله، حتى يقوم على الخصوصيةَ دليل.

وانتصر أصحاب الخصوصية بأن أمهاته من النسب واللاتي أرضعنه معلومات، ليس فيهن أحد من الأنصار البتة، سوى أم عبد المطلب، وهذه لا تجتمع مع أم حرام إلا في جدّ أعلى. وهذه خؤولة لا تثبت بها محرمية، لأنها خؤولة مجازية. وقد تقوّىٰ فريق الخصوصية بكون أنس خادماً للنبي ﷺ، وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه ورفع الحشمة التي يقع بين الأجانب عنهم.

ونفىٰ بعض مَنْ ذهب إلى أنَّ هذا خاصٌّ بالنبي ﷺ وجود الخلوة في حديث تفلية رأسه.

وردَّ عليهم ابن حجر ـ مع أنه يقول بالخصوصية ـ وقال: لكنه لا يدفع الإشكال مِنْ أصله لبقاء الملامسة

في تفلية الرأس، وكذا النوم في الحجر.

وبعد هذا السرد للمذاهب، قال ابن حجر: «وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية، ولا يردُّها كونها لا تثبت إلا بدليل، لأن الدليل على ذلك واضح»[1].

والحق أن مذهب الخصوصية هذا لا دليل عليه لأن رسول الله ﷺ قدوة، فكيف يدخل على امرأتين ليس بينه وبينهن محرمية؟ وكيف يجيز لأجنبية أن تفلي رأسه، وكيف يقيل عندهما وهما أجنبيتان؟.

والذي يبدو لي ترجيح مَنْ قال إنه محرم لهما، لأنه لم يُعهد عنه ﷺ ذلك الدخول الصريح على النساء وتلك القيلولة، وأنه يسمح لنساء أجنبيات بتفلية رأسه، ما عهد عنه ذلك ﷺ وأمثاله من الأفعال إلا بوجود سبب شرعي يجيز له ذلك.

وقد يغيب عن بعض الرواة أو العلماء سبب المحرمية. ولكن لوازمها واضحة وضوحَ الشمس.

وأمَّا كون أنس خادماً له، فهل هذا يُبْطِل حكماً

---

(١) فتح الباري ١١/ ٨٠.

شرعياً؟ لقد ثبت أن حديث الدخول والتفلية بعد نزول الحجاب، فإذا كانت أفعاله ﷺ قدوة يقتدىٰ بها، فكيف يجيز لنفسه ﷺ أن يخلو بأم خادمه وأختها، أو يقيل عندهما، أو تفلي خالة خادمه رأسه. . . إلى غير ذلك من أفعال لا يُعقل أن تحدث إلا من جانب المحرمية. هذا بالإضافة إلى سؤال وارد على مذهب ابن حجر: إذا كان هذا من خصائصه ﷺ فلماذا هذه العائلة بالذات؟ لماذا لم يُنقل عنه ـ وهذه كتب السيرة والحديث تنقل أدق تفاصيل حياته ـ هذا الدخول على صحابيات أُخْرَيات.

وكثيراً ما يكون ﷺ عند أم سُليم فتدركه الصلاة، فيصليها عندها. عن أنس بن مالك[1] رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يزور أم سُليم أحياناً فتدركه الصلاة، فيصلي على بساطٍ لنا وهو حصير ينضحه بالماء. وذكر أنس بن مالك: أنه كان ﷺ يصلي عندها صلاة التطوع. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال[2]: زار رسول الله ﷺ أم سُليم فصلى في بيتها تطوعاً. وقال:

(١) الطبقات ٨/ ٤٢٧.
(٢) الطبقات ٨/ ٤٢٦.

«يا أم سُليم إذا صلَّيْتِ المكتوبة فقولي: سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً، ثم سلي الله ما شئت فإنه يُقال لك: نعم، نعم، نعم».

ومما تقدَّم نخلص إلى أن لأم سليم مكانة خاصة عند رسول الله ﷺ، فكان يُكرمها ويَجْبرها بالزيارة والطعام والراحة وصلاة النافلة، وهذا كله دليل على أنه يحس بالارتياح من موقف هذه العائلة حيث كان يخصها بذلك دون محارمه من النساء.

٢ ــ وإذا كانت أم سُليم قد وقفت من الدعوة وقائدها موقف الفداء والشغل الشاغل، فإن رسول الله ﷺ بادَلَها هذا بعنايته ورعايته. ومن مظاهر ذلك أنه كان يتفقدها إذا غابت عنه بالسؤال عن سبب غيابها. روت أم سُليم رضي الله عنها[١]: أن النبي ﷺ حَجَّ ولم تحج معه أم سُليم. فقال لها: «ما لأم سُليم لم تحج معنا العام»؟ قالت: يا نبيَّ الله كان لزوجي ناضحان، فأما أحدهما فحج عليه، وأما الآخر فتركه يسقي عليه نخله. قال ﷺ: «فإذا كان رمضان، أو شهر

(١) الطبقات ٨/ ٤٣٠.

الصوم، فاعتمري فيه، فإن عمرة فيه مثل حجة»، أو قال: «تقضي مكان حجة».

٣ ـ والبشرى العظيمة التي نالتها أم سليم هي بشرى الجنة على لسان رسول الله ﷺ. سمع أنس ابن مالك رسول الله ﷺ يقول: «دخلت الجنة فسمعت خَشْفَة، فقلت: ما هذا؟ فقيل: الرميصاء بنت ملحان». هكذا يقول عفان. وقال سليمان: الغُمَيْصاء[١]. وفي رواية للبخاري: «دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة»[٢]. وفي رواية لمسلم قال: «أُرِيْتُ الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة»[٣].

فللَّه أنت يا أم سُليم!! رسول الله ﷺ يبشرها بنفسه في هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، يبشرها بالجنة التي هي مُنىٰ كل مؤمن ومؤمنة وأملهما العظيم، وما كان هذا إلا بثمن غالٍ نفيسٍ بذلَتْه هذه المرأة حباً لرسول الله ﷺ وخدمة للدعوة، وبلاء في سبيلها.. فلتهنئي

(١) الطبقات ٨/ ٤٣٠. والخشفة: الصوت ليس بالشديد.
(٢) ٦٢ كتاب فضائل الصحابة، ٦ باب مناقب عمر، فتح الباري ٧/ ٥٠.
(٣) ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٠٨.

يا أم سُليم، وطِبْت في هذا المستقر العظيم.

٤ ــ وكان ﷺ يَخصها ببعض شَعْره الشريف عندما يحلق شعر رأسه. روىٰ الإمام أحمد في مسنده[١] عن أنس بن مالك قال: لما حلق رسول الله ﷺ رأسه بمنىٰ، أخذ شق رأسه الأيمن بيده، فلما فرغ ناولني، فقال: «يا أنس! انطلق بهذا إلى أم سُليم» فلما رأى الناس ما خصّها به من ذلك تنافسوا في الشق الآخر، هذا يأخذ الشيء، وهذا يأخذ الشيء. قال محمد بن سيرين: فحدثه عبيدة السلماني فقال: لأَنْ يكون عندي شعرة أحب إليّ من كل صفراء وبيضاء أصبحت على وجه الأرض وفي بطنها.

فهو إذاً يريد أن يُودع السرور في قلب أم سليم، وهو يعلم أنها حريصة على أن تَجمع شيئاً من أثره ﷺ، فتراه يبادرها بأن يرسل إليها بعض شعره لأن هذا أدعىٰ إلى سرورها وارتياحها.

٥ ــ وكثيراً ما كان يدعو رسول الله ﷺ لأم سُليم بالخير، فقد رُوِي عنها أنها قالت[٢]: «لقد دعا لي

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٤٦.

(٢) الاستيعاب ٤/ ٤٥٦.

رسول الله ﷺ حتى ما أريد زيادة». وهذه الرواية عظيمة الدلالة على أنواع الدعاء التي دعا بها الرسول ﷺ، لها وإن في هذا خيراً أكيداً نالته هذه المرأة، لأن لهذا الدعاء الذي حَظِيَتْ به أم سُليم فوائد جمة، وذلك لأنه دعاء مستجاب على لسان أفضل الخلق، فقد حازت عن طريق هذا الدعاء خيراً كثيراً في دنياها وآخرتها. ومن ناحية ثانية تحقق لها شعور نفسي عظيم وراحة كبرى، وهي ترىٰ رسول الله ﷺ يبادرها بالاهتمام بها وسؤال الله عز وجل لها شيئاً. وهذا في حقيقة الأمر يُوحي بحبه لها وتقديره لموقفها من الدعوة وعطائها لها. وعندما منحته ابنها ليخدمه كما نص الذهبي[1] مضىٰ يدعو لها: «فما ترك خير آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لي به».

ليَهْنَك السَّعد يا أم سُليم، بوَّأك الله هذه المكانة الرفيعة، فهذا رسول الله ﷺ يدعو لك بخيرَيْ الدنيا والآخرة، فلقد حظيت بكلمات جامعة لهذا الفضل تنساب على شفتيه الكريمتين لتصعد إلى الباري عز وجل

---

(١) سير الأعلام ٢/ ٣٠٩.

معطرة بأنفاسه مضمخة بروحه، وهذا وفاء منه ﷺ ما بعده وفاء.

٦ ــ وممَّا خصَّها به النبي ﷺ أنه كان يضمها إلى بعض نسائه في الأسفار الطويلة، وكانت عينه ﷺ على القافلة حتى يصل الأمر إلى العناية النفسية المرهفة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتىٰ النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سُليم فقال: «ويحكَ يا أَنْجشة رويدك سَوْقاً بالقَوارير»[1].

والحديث في سفر من أسفار النبي ﷺ والحادي هو أَنْجَشَة وكان حسن الصوت وهو غلام النبي ﷺ، وكان يسوق بهن، فاشتدَّ بهنّ السياق، فأسرعت الإبل، فطلب منه الرسولُ ﷺ أن يسوق القافلة برفق، وعنىٰ بالقوارير النساء، وكنّى عنهن لرقتهن وضعفهن.

وجزم ابن بطال بهذا المعنى فقال: القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذٍ، فأمر

---

(١) فتح الباري ٧٨ ـ كتاب الأدب، ٩٠ باب ما يجوز من الشعر ١٠/٥٥٤.

الحادي بالرفق في الحُداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع، فإذا أسرعت لم يؤمَنْ على النساء السقوط.

وقيل: كان حسن الصوت بالحُداء، فكره رسول الله ﷺ أن تسمع النساء الحداء، فإن حسن الصوت يُحرِّك من النفوس، فشبَّه ضعف عزائمهنّ وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر إليها، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال: ارفق بالنساء.

وجزم الهروي بهذا المعنى وقال: شبَّه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن، والقوارير يُسرع إليها بكسر، فخشي من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع في قلوبهن منه فأمره بالكفّ، شبه عزائمهن بسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر إليها[1].

٧ ـ هذه الفضائل جعلت من أم سُليم مثلاً صالحاً للزوجة التي ينبغي لزوجها أن يتمسك بها ويصبر عليها. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: أراد أبو طلحة أن يطلق أم سُليم، فقال رسول الله ﷺ: «إن طلاق أم سُليم

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٥٦٢.

لَحَوْبٌ»[1]. وفي الحديث رواية ثانية: «إن طلاق أم أيوب لَحَوْبٍ»[2]. فإذا صحَّ حديث أم سُليم، فإن هذا يكون خصيصة تضاف إلى مجموع خصائصها، حيث إن رسول الله ﷺ عَدَّ طلاق هذه المرأة الفاضلة إثماً، ولا تستحق هذه المكانة إلاّ لأنها امرأة لها تميُّزها وبلاؤها ودورها العظيم في خدمة الدعوة.

٨ ــ وكانت أم سُليم تنوب عنه ﷺ في بعض المهمات الخاصة لشأنه، فهي من محارمه، وتبوّأت من ثقته ومحبته درجة عالية فيمكن أن يكلفها ببعض المهمات التي تليق بالأم أو الأخت، وهو ﷺ لا أم له ولا أخت. ففي مسند أحمد عن أنس أن النبي ﷺ أرسل أم سليم تنظر إلى جارية فقال: «شمّي عوارضها[3] وانظري إلى عُرقوبها[4]». وذلك بغرض الزواج، ولم تذكر الرواية هل ينوي الخطبة له أو لأحد من أصحابه.

---

(١) رواه البزار في مناقب أم سُليم: كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٢٤٦. والحوب: الإثم.

(٢) تفسير الدر المصون ٣/ ٥٥٨.

(٣) العوارض: ج. عارضة وهي الثنية من الأسنان.

(٤) العرقوب: أسفل الساق. وانظر المسند ٣/ ٢٣١.

مما تقدَّم يتبيَّن لنا هذه المكانة الرفيعة التي تبوَّأتها هذه المرأة على عين رسول الله ﷺ ورعايته ومتابعته وحرصه على أن تكون في راحة قريرةَ العين، وما تلك المكانة إلا طرف من الوفاء يُبديه النبي الكريم ﷺ لقاء ما وَجَد منها مِنْ بلاءٍ وحماسةٍ وخدمة لدعوة الله.

الفَصل الثامِن

محبتها للنبي ﷺ وتبرُّكها بآثاره رضي الله عنها

بلغ الصحابة رضي الله عنهم مبلغاً عجيباً في محبتهم للنبي ﷺ، ونعني هنا بالمحبة ذلك التعلق العاطفي الشديد بشخصه الكريم وميلَ قلوبهم إليه ميلاً جعلهم يحرصون على تطبيق سنته، ودفعهم إلى أن يفدوه بأرواحهم، ويُهيئوا له من الدعم والمساندة ما يخفف عنه وعثاء الطريق الطويل الذي بدأ فيه. ولم يحظ بهذا الحب والتقدير صحابته من الرجال، وإنما سجلت كتب السيرة ورواياتها مواقف جليلة من الصحابيات اللواتي عُرِف عنهن هذا الحرص على إرضائه وتقديره وتهيئة أسباب الراحة والطمأنينة أمامه، والصحابية

الجليلة أم سُليم في مقدمة هذا الفريق من النساء اللواتي أحببنَ قائد الدعوة، وأظهرن له هذا الحب العميق، وربما كان يساعدها على الإفصاح والتعبير عنه بالفعل والقول أنها كانت مَحْرماً له ﷺ، فلا حرج عليها في بعض التصرفات والمظاهر التي سنتحدث عنها في هذا الفصل.

١ ــ روى البخاري[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنّ أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نِطْعاً فيقيل عندها على ذلك النطع. قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عَرَقه وشَعْره فجمَعَتْه في قارورة، ثم جمعته في سُك، وهو نائم. قال: فلما حضر أنسَ بن مالك الوفاةُ أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السك. قال: فجعل في حنوطه».

ووقت القيلولة هو: وقت اشتداد الحر من بعد الظهر.

وفي رواية لمسلم[٢] عن أنس رضي الله عنه: «أن

---

(١) ٧٩ ـ كتاب الاستئذان ٤١ باب مَنْ زار قوماً فقال عندهم. فتح الباري ١١/ ٧٣. والنطع: بساط.

(٢) ٤٣ كتاب الفضائل برقم ٢٣٣١، صحيح مسلم ٤/ ١٨١٥.

النبي ﷺ كان يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها وليست فيه». وقد مرَّ معنا أن أم سُليم كانت إحدى محارمه. فرسول الله ﷺ ينشد الراحة عندها رضي الله عنها، فكانت تبسط له نطعاً وهو بساط من جلد، وعندما يستغرق في النوم كانت تأخذ مِنْ عَرَقِه وشعره فتجعله في قارورة.

وفسَّر هذا ابن حجر بقوله: أنَّ النبي ﷺ لما حلق شعره بمنىٰ، أخذ أبو طلحة شعره، فأتىٰ به أم سليم فجعله في سكها[1]. قالت أم سليم: وكان ﷺ يجيء فيقيل عندي على نِطْع، فجعلْتُ أسلت العَرَق. فيستفاد من هذه الرواية أنها لما أخذت العرق وقت قيلولته ﷺ أضافته إلى الشَّعر الذي عندها، لا أنها أخذت من شعره لما نام. كما استنبط المحدِّثون من هذه الرواية أنَّ القصة كانت بعد حجة الوداع، لأنه ﷺ حلق شعره بمنـىٰ. أما هذا السك فقد شرحه في النهاية[2] بأنه طيب معروف يُضاف إلى غيره من الطيب ويُستعمل. وفي رواية مسلم

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ٣/ ١٤٦.
(٢) النهاية ٢/ ٣٨٤.

للحديث[1]: «دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تَسْلِتُ العرق فيها، فاستيقظ ﷺ فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نَجْعَله في طيبنا وهو أطيب الطيب».

وذكر ابن حجر[2] رواياتٍ متعددة للحديث منها: «عَرِقَ فاستنقع عرقه على قطعة أديم ففتحت عتيدتها[3] فجعلت تنشِّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، فأفاق ﷺ فقال: «ما تصنعين»؟ قالت: نرجو بركته لصبياننا. فقال ﷺ: «أَصَبْتِ».

وفي رواية ثانية: فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير. فقال ﷺ: «ما هذا»؟ قالت: عرقك أدوف[4] به طيبي.

ومما سبق من هذه الروايات يتضح لنا مظهر جليّ من مظاهر الحب للرسول ﷺ، وهو التبرك بآثاره ﷺ من

---

(١) صحيح مسلم، ٤٣ كتاب الفضائل، ٢٢ باب طيب عرق النبي ﷺ ٤/ ١٨١٥ برقم ٢٣٣١.

(٢) فتح الباري ١١/ ٧٤.

(٣) العتيدة: السلة.

(٤) أدوف: أخلط.

عرق أو شعر، وقد اطلع رسول الله ﷺ على فعلها وصوَّبه، فلم يمنعها ولم يُبْدِ فيه ما يفيد كراهيته لهذا الفعل، وقد فعلت أم سليم ذلك لأجل الطيب من ناحية، والبركة من ناحية ثانية.

٢ ــ أخرج الترمذي في الشمائل[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ دخل على أم سُليم وقِربة معلقة، فشرب منها قائماً، فقامت أم سليم إلى رأس القِربة فقطعتها». وفي رواية: فأمسكته عندها. وفي حديث آخر عن أنس بن مالك[٢] رضي الله عنه: عن أم سُليم قالت: دخل رسول الله ﷺ وفي البيت قربة معلقة، فشرب منها قائماً فقطعتُ فاها وإنه لعندي.

وقد بيّن النووي[٣] أنها «إنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به وتصونه عن الابتذال». فهذا الحديث شاهد آخر على متابعة أم سُليم لآثار النبي ﷺ وحرصها على جمعها والتبرك بها.

(١) الشمائل بشرح البيجوري ١٠٨.
(٢) مسند الإمام أحمد ٦/ ٤٣١.
(٣) رياض الصالحين ٢٥٢ وتعليق النووي هنا ورد على الحديث نفسه ولكن من طريق أمّ ثابت.

٣ ـ أخرج أبو داود في سننه[١]: عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: «كان لي ذؤابة، فقالت لي أمي: لا أجزُّها، كان رسول الله ﷺ يمدها ويأخذها» فقد رفضت رضي الله عنها أن تقص ذؤابة ولدها أنس، لأن النبي ﷺ كان يلمسها بيده الشريفة، فهي لم تكن ترضىٰ على نفسها أن تزيل شعرات من رأس ابنها، كان رسول الله ﷺ قد مَسَّها بيده الشريفة[٢]، إنها تودّ أن تبقى بصمات أصابع النبي ﷺ على رأس ابنها أنّىٰ توجّه وأنّىٰ سار.

٤ ـ ومن مظاهر محبة أم سليم للرسول ﷺ، أنها كانت تصنع الطعام وترسله إلى النبي ﷺ، وترسل معه اعتذارها لأن هذا الطعام قليل بالنسبة إلى واجبها نحوه، مما يدل على أدبها وتلطفها مع رسول الله ﷺ.

فقد روى مسلم[٣] عن أنس قال: (تزوج

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٤١٢، ٢٧ كتاب الترجل، ١٥ باب ما جاء في الرخصة.

(٢) أنس بن مالك ٣٦.

(٣) مسلم: ١٦ كتاب النكاح، برقم ٩٤، ٢/ ١٠٥١.

رسول الله ﷺ فدخل بأهله، فصنعت أمي حيساً[١] فجعلته في تورٍ[٢]، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى النبي ﷺ فقل له: بعثتْ بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله. قال: فذهبتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل. قال: ثم قال: «اذهب فادعُ لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومَنْ لقيتَ». قال الجعد ابن عثمان ـ راوي الحديث ـ: قلت لأنس: عددكم كم كان؟ قال: زهاء ثلاثمائة. قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال ﷺ: «ليتحلَّقْ عشرةٌ عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه». قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم. قال: فقال لي: «يا أنس ارفع». قال: فرفعت فما أدري حين وُضعت كان أكثر أم حين رُفعت).

وذات يوم أرسلت أم سُليم رضي الله عنها للرسول ﷺ بعكة فيها سمن، فأفرغها النبي ﷺ وأعطى

---

(١) الحيس: تمر يخلط بالسمن.

(٢) التور: إناء يشرب فيه.

العكة لخادمتها، فذهبت بها إلى بيت أم سُليم وعلقتها على وتد وهي فارغة، وعندما جاءت أم سليم إلى بيتها وجدت العكة تقطر سمناً. ولنستمع إلى أم سُليم تروي لنا القصة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن أم سليم رضي الله عنها[1] قال: «كان لأم سليم شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة، ثم بعثت بها مع ربيبة، فقالت: يا ربيبة أبلغي هذه العكة رسول الله ﷺ يأتدم بها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سُليم. قال: «أفرغوا لها عكتها»، ففرغت العكة فدفعت إليها، فانطلقت بها ربيبة وجاءت، وأم سُليم ليست في البيت، فعلَّقت العكة على وتدٍ. فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر، فقالت أم سُليم: يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله ﷺ. فقالت ربيبة: قد فعلت فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله ﷺ. فانطلقت أم سليم ومعها ربيبة، فقالت:

(١) البداية والنهاية ٦/ ١٠٣ ـ ١٠٤، حياة الصحابة ٣/ ٦٣٥.

يا رسول الله إني بعثت إليك بعكة فيها سمن. قال ﷺ: «قد فعلت، قد جاءت»، قالت أم سُليم: والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمناً، قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سُليم أتعجبين أن الله أطعمك كما أطعمت نبيّه؟ كلي وأطعمي». قالت: فجئت إلى البيت فقسمت في قَعْبٍ لنا كذا وكذا وتركت فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين.

وذكر الإمام أحمد[1] حديثاً عظيماً فيه تفقُّدها للنبي ﷺ وحرصها على أن يصل برُّها به إلى أزواجه. عن أنس رضي الله عنه: «أن أم سُليم بعثته بقناع عليه رطب فجعل يقبض قبضة فيبعث بها إلى بعض أزواجه، ويقبض القبضة فيبعث بها إلى بعض أزواجه، ثم جلس فأكل بقيته أكْلَ رجلٍ يعلم أنه يشتهيه».

ونحن نلاحظ في هذا النص الجانب النفسي الذي كان عليه الرسول ﷺ حينما علم مصدر هذا الطعام الذي جاءه، فهو من أم سُليم البارّة به الحريصة على راحته،

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٢٥، وانظر رواية ثانية في المسند ٣/ ١٤٧، ٢٣٢.

فما عليه إن أكل منه بهناءة، أو وزَّع منه لزوجاته.

٥ ــ وإن من مظاهر محبة أم سليم للرسول ﷺ أنها تقدم له أنفس هدية تليق به، وهل ثمة هدية أعظم من أن تقدم له مهجة قلبها وثمرة فؤادها أنساً رضي الله عنه، حيث أتت به إلى النبي ﷺ قائلة[١]: يا رسول الله لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا وقد أتحفك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا ابني هذا، فخذه فليخدمك ما بدا لك. وفي رواية ثانية عن أنس رضي الله عنه[٢]: أن النبي ﷺ دخل على أم سليم فأتته بسمن وتمر فقال: «إني صائم»، ثم قام فصلى ودعا لأم سُليم ولأهل بيتها، فقالت: إن لي خُوَيْصَّة. قال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس. فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به. فهي تقدِّم له شيئاً نفيساً ليقوم على خدمته بعد أن ربَّتْه وأحسنت تربيته واطمأنت إلى حسن قيامه بهذه المهمة.

٦ ــ ومن محبتها رضي الله عنها لرسول الله ﷺ

---

(١) حياة الصحابة ٢/ ٥٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩.

حرصها على عدم إفشاء سره. ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[1]: «أن النبي ﷺ أسَرَّ إليه سراً، يقول: ولقد سألتني أم سُليم فما أخبرتها به. وفي روايات الحديث قالت أم سليم: لا تخبر بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً. وفي رواية: احفظ سرَّ رسول الله ﷺ».

ونظراً لهذا الحب العظيم الذي أفصحت عنه أم سُليم رضي الله عنها لقائد الدعوة فإن رسول الله ﷺ بادلها هذا الشعور الطيب بالمزيد من الدعاء منه ﷺ حتى قالت: «لقد دعا لي رسول الله ﷺ حتى ما أريد زيادة»[2].

وليس غريباً أن يعبر الصحابة رضي الله عنهم عن هذا الحب، كيف لا؛ وهذا النبي الكريم كان سبب خلاصهم من شقاء الكفر وظلمات الجهل.

ويروي أنس بن مالك رضي الله عنه قال[3]: لما كان يوم أحد، حاص أهل المدينة حيصة[4] وقالوا: قُتِل

---

(١) فتح الباري ٧٩ كتاب الاستئذان، ٤٦ باب حفظ السر، ١١/ ٨٤، ومسند أحمد ٣/ ١٠٩.

(٢) الاستيعاب ٤/ ٤٥٦.

(٣) حياة الصحابة ٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٤) تحركوا يطلبون الفرار.

محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار، فاسْتُقْبِلَتْ بأبيها وابنها وزوجها وأخيها، لا أدري أيهم اسْتُقْبلت به أولاً، فلما مرَّتْ على أحدهم قالت: مَنْ هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك. تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ يقولون: أمامك، حتى دَفَعَتْ إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمت مَنْ عَطِبَ. أي: هَلَكَ.

وعن الزبير رضي الله عنه قال[1]: اجتمعتُ على النبي ﷺ بالمدينة يوم أحد، فلم يبق أحد من أصحاب النبي ﷺ ـ يعني بالمدينة ـ حتى كثرت القتلى فصرخ صارخ: قد قتل محمد، فبكين نسوة، فقالت امرأة: لا تعجلن بالبكاء حتى أنظر، فخرجت تمشي ليس لها همٌّ سوى رسول الله ﷺ وسؤالٍ عنه.

وعن سعد بن أبي وقاص[2] رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها

---

(١) حياة الصحابة ٢/ ٣٣٣.

(٢) حياة الصحابة ٢/ ٣٣٣.

وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعُوا لها، قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[1].

٧ ــ وكان زوجها أبو طلحة رضي الله عنه يشاطرها الجود والسخاء والعطاء، سمع مرة صوت النبي ﷺ ضعيفاً عرف فيه الجوع، فما لبث أن أمر زوجته بإرسال ما عندها من الطعام لرسول الله ﷺ. قال أنس ابن مالك رضي الله عنه[2]: قال أبو طلحة لأم سليم رضي الله عنهما: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خِماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسَّتْه تحت ثوبي ورَدَّتْني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أأرسلك أبو طلحة؟»، فقلت: نعم.

(١) جلل: يسير، وهو من الأضداد.
(٢) رواه البخاري في فتح الباري، كتاب الأطعمة ٩/ ٤٣٧، البداية والنهاية ٦/ ١٠٥.

قال: «بطعام»؟ فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لِمَنْ معه: «قوموا» فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة. فقال أبو طلحة: يا أمَّ سُليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل أبو طلحة ورسول الله ﷺ حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي يا أم سُليم ما عندك!». فأتت بذلك الخبز، فأمر به ففُتَّ وعصرت عليه أم سُليم عُكة لها فأدَمَتْه، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول. ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم رجعوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم أذن لعشرة، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم ثمانون رجلاً.

وهذا الحديث الكريم يفيد تفقُّد هذا البيت المسلم، بيت أم سليم وأبي طلحة للرسول ﷺ حتى إذا ما لمسوا منه حاجة إلى طعام، تحقق التشاور بين

الزوجين لإرسال شيء إلى بيته ﷺ فكان ما مرَّ بنا في الحديث، حيث البركة يمنحها الله عز وجل لهذا الطعام الذي أشبع ثمانين رجلاً جائعاً. وبالتأكيد إن مثل هذا التفقد للنبي الكريم من هذا البيت المسلم كان يُنزله محل تقديره ودعائه، فليس غريباً أن يمنح أم سليم وزوجها محبته ووفاءه وأن يبادرهما بالدعاء لهما كما مرَّ بنا أكثر من مرة. وهذا التعاون بين أبناء الدعوة وقائدهم تعاون مشروع على البر والتقوى يفيد الحب والمودة. وما أكثر الأمثلة من هذا الجيل القرآني الفريد الذي ضرب أروع الأمثلة على البذل والعطاء.

ومما تقدم يتبين لنا حب هذه الصحابية الجليلة لرسول الله ﷺ وإنه ـ وايم الله ـ لجدير بهذا الحب، فهو الذي نقلهم ـ بفضلٍ من الله ـ ونقل البشرية من الظلمات إلى النور، بيد أننا ينبغي أن ننبه إلى ضابطين مهمين في هذا الجانب:

١ ـ إن هذا الحب ينبغي أن يكون بعيداً عن المغالاة المذمومة في حقه ﷺ؛ حيث إن بعض الناس ممَنْ يزعمون محبته ﷺ قد يشتطون فيمنحونه مكانة لا يريدها

الله ورسوله، فيكون هذا من قبيل إطراء النصارى لعيسىٰ عليه السلام، وهو أمر منهي عنه، فهو بشر كريم لا يجوز منحه نعتاً هو من خصائص الله عز وجل. إن دعوة لا إلَٰه إلا الله دعوة شاملة لحياة المسلم وتصوره ومعتقده، وهذا الحب للنبي ﷺ ينبغي أن يكون مشفوعاً بمعرفة حدود هذا الحب فلا نتجاوزها.

٢ ــ إن هذا الحب دافع للمحبين أن يقدموا المزيد من السير على منهجه في حياته كلها، فإن المحب تبع للمحبوب، ولا يجوز أن يزعم أحدٌ محبتَه العاطفية للنبي ﷺ، وواقع حياته وسيرته تناقض زعمه، وهذا والله عين الخلل والادعاء الفارغ.



الفَصل التَاسع

علمها رضي الله عنها

يغلب على كثير من النساء اليوم مقولة ليس لها سند شرعي، تقول: إن على المرأة أن تُعنىٰ بواجبات بيتها وأولادها ومأكلها وملبسها، وليس عليها حرج إن استغرقت في هذه الأعمال وما يتصل بها، وأغفلت شأن العلم والاستزادة فيه، فجمهور النساء في عصرنا مشغولات عن التفقه في دين الله والتبحُّر فيه، وهذا الاتجاه في الحقيقة لا يعضده سند شرعي، بيد أن الهوى يثبته. وإذا راجعنا سيرة الصحابيات رضي الله عنهن نجد أن طائفة كثيرة منهن طلبن العلم وتبحَّرْنَ فيه حتى إنّ منهن مَنْ تصدَّرت للفتوى، وعُرِفَ عنهن آراء شرعية تنسب إليهن كعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما. وهذه

مرتبةٌ لا يمكن الوصول إليها إن اقتصرت على ما تقتصر عليه كثيرات من نساء عصرنا من الاشتغال بالمأكل والمشرب والملبس.

وأم سُليم رضي الله عنها امرأة وهبت نفسها للدعوة فعلاً، فهي في مجال الجهاد وبذل النفس مجاهدة فاعلة، لها دورها الذي مرَّ بنا قبلاً في وسط الغزوات. وهي في مجال الحرص على خدمة قائد الدعوة يُشار إليها بالبنان. وهي في مجال كسب العلم والاستزادة من فروعه طالبة نبيهة أحست أن شفاء العِيّ السؤال. وليس غريباً على أم سُليم أن تعد من عقلاء الصحابيات وفضلائهن، فقد اكتسبت علماً غزيراً وخبرة شرعية عريضة، وذلك لأنها من السابقات إلى الإسلام، صحبت رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وفي الحرب والسلم، وكان ﷺ يخصها بزيارات متكررة في بيتها لأنه من محارمها، وكان يجلس معها طويلاً فتسأله عن أحكام شرعية كثيرة، ورأت منه ﷺ السنة الفعلية، وسمعت القولية، حيث روت أحاديث كثيرة عنه ﷺ وشهدت منه كيفية تطبيق كثير من الأحكام الشرعية والهيئات الفعلية. عن أنس بن مالك

رضي الله عنه قال[1]: «صلىٰ النبي ﷺ في بيت أم سُليم فقمت ويتيم خلفه وأم سُليم خلفنا».

وقد اكتسبت أم سُليم من هذه الملازمة للرسول ﷺ توجيهات جمّة، منها أن النبي ﷺ زارها فصلى في بيتها تطوعاً، وقال: «يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً، ثم سلي الله عز وجل ما شئت فإنه يقال لك: نعم نعم نعم»[2].

كانت رضي الله عنها من نساء الأنصار اللواتي قال رسول الله ﷺ فيهن: «نِعْمَ النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[3]. روت أم سلمة رضي الله عنها: أن أم سُليم جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت له: يا رسول الله إنّ الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ قال: «إذا رأت الماء». فغطَّتْ أم سلمة ـ يعني وجهها ـ وقالت: وتحتلم المرأة؟

---

(١) كتاب الأذان، ١٦٤ باب صلاة النساء خلف الرجال، فتح الباري ٢/ ٤٠٨.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٣٦.

(٣) رواه البخاري. فتح الباري ١/ ٢٧٦، ٥٠ كتاب العلم.

فقال ﷺ: «نعم تَرِبَتْ يمينُك ففيم يشبههن الولد»[1].

وكان عندها رضي الله عنها رغبةٌ ملحة في العلم، فها هي تسأل رسول الله ﷺ عن الاحتلام، ولم يمنعها الحياء من ذلك، لأنها تريد أن تتوصل إلى معرفة الحكم الشرعي. عن أم سُليم رضي الله عنها[2] قالت: كنت مجاورة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، فقالت أم سُليم: يا رسول الله أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها جامعها في المنام أتغتسل؟ فقالت أم سلمة: تربت يداك أم سُليم فضحت النساء عند رسول الله ﷺ. فقالت أم سُليم: إن الله لا يستحي من الحق، ولنا أن نسأل رسول الله ﷺ عمّا أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء. فقال النبي ﷺ: «تربت يداك أم سُليم! عليها الغسل إذا وجدت الماء». فقالت أم سلمة: يا رسول الله وهل للمرأة ماء؟ فقال النبي ﷺ: «فأنّىٰ يشبهها ولدها؟ هنّ شقائق الرجال».

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري ١/ ٢٧٦، من كتاب العلم ٥٠ باب الحياء في العلم.

(٢) حياة الصحابة ٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

تقول أم سُليم في هذا الحديث: «إن الله لا يستحي من الحق، ولنا أن نسأل رسول الله ﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء».

أليس كلام أم سُليم دستوراً ينبغي أن يستضيء به كل مسلم ومسلمة، فرسول الله ﷺ وورثته من العلماء مِنْ بعده خير لنا أن نسألهم عن المشكلات التي تعترض طريقنا من أن نكون على جهل من أمرنا نتخبط يمنة ويسرة، ونخمن ما شئنا من الحلول الوهمية الفاسدة، إنها تتجاوز ما تعارف عليه معشر النساء من سكوت الحياء، وقد يُلازم هذا السكوت جَهلٌ بالحكم الشرعي وضيائه ووضوحه، وهي لذلك تُوازن بين كفتين ثم ترجح الأولى على الثانية، كفة العلم والمعرفة والسؤال والاقتباس من نور النبوة وما يمنحه من سير الأمور سيراً شرعياً مضبوطاً بضوابطه، وكفة العمياء ـ كما تُسميها ـ والجهل والاضطراب بين الأعراف الفاسدة والعادات السيئة، فمضت أم سُليم تشق طريقها كما رسمت وفق منهجها الصحيح، وهذا الاستعداد الذي ملكته أمر لا يقدر عليه الكثيرات، حتى إن بعضها أخواتها من النساء ممَّنْ

حضرن المجلس مع رسول الله ﷺ عجبن من جرأتها، فواحدة تقول: فضحت النساء، وواحدة تضع يديها على وجهها من هول ما سمعت.

والحياء لا شك من الإيمان، وهو الصفة الشرعية التي تقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وذهب العلماء أن ما يقع سبباً لترك أمر شرعي هو مذموم، ولا يسمى هذا حياء شرعياً، وإنما هو ضعف ومهانة[(١)]. ومن هنا قال مجاهد: «لا يتعلم العلم مُسْتحيٍ ولا مستكبر». وأم سُليم قد عزمت على أن تعرض سؤالاً شرعياً يغلب عليه طابع معين، وهو مما تستحي النساء مِنْ ذكره في حضرة الرجال، وأرادت أن تقدم بمقدمة ساطعة: «إن الله لا يستحي من الحق» أي لا يأمر بالحياء في الحق. ومن هنا قالت لها عائشة كما في صحيح مسلم: «فضحت النساء»[(٢)]. فعرضت السؤال الذي يدور حول المرأة إذا رأت في منامها أنها مع زوجها، فجاءها الجواب: أن رؤية الماء شرط للغُسل، فإذا لم تر الماء لا غُسْلَ عليها. وإنكارُ أم سلمة رضي الله عنها

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٧٦.

(٢) صحيح مسلم، ٣ كتاب الحيض برقم ٣١٠، ١/ ٢٥٠.

عليها فيه دليل على أن الاحتلام يكون في بعض النساء دون بعض.

وكانت رضي الله عنها من عقلاء النساء وفضلائهن[1]. روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وروى عنها ابنها أنس بن مالك، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن عاصم الأنصاري وآخرون[2]، وقيل: روى لها الجماعة سوى ابن ماجه[3].

واختلف زيد بن ثابت وابن عباس في المرأة تحيض بعد الزيارة في يوم النحر بعدما طافت بالبيت. قال زيد: يكون آخر عهدها الطواف بالبيت. وقال ابن عباس: تنفر إن شاءت. فقال الأنصار: لا نتابعك يابن عباس وأنت تخالف زيداً. وقالوا: اسألوا صاحبتكم أم سُليم. فقالت: حِضْتُ يوماً بعدما طُفْتُ بالبيت يوم النحر، فأمرني رسول الله ﷺ أن أنفر. وحاضت صفية

---

(١) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٦٥، الاستيعاب ٤/ ٤٥٦.

(٢) الإصابة ٤/ ٤٦٢، تهذيب التهذيب ٢/ ٤٧٢، أعلام النساء ٢/ ٢٥٦، الكاشف ٣/ ٤٨٩.

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٥/ ٣٦٦.

فقالت لها عائشة رضي الله عنها: الخيبة لك إنك لحابستنا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «مُروها فلتنفر»[1]. فأم سُليم بهذه القصة مرجع للصحابة في فتواهم في المسائل العلمية التي تمرُّ بهم، فأجابتهم على وضوح تام ومعرفة ودراية بالحكم بأن مثل هذه الواقعة قد مرَّتْ بها واستفتت النبي ﷺ، فأفتاها بأن تنفر، ودعمت إجابتها بحادثة ثانية مماثلة لما حدث معها، وكانت مع صفية.

روت عن رسول الله ﷺ أربعة عشر حديثاً، اتفقا لها على حديث، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[2]. وسوف نُثبت طائفة من الأحاديث التي روتها في آخر هذا البحث إن شاء الله لنعلم أنها شاركت في تعلُّم العلم الشرعي عن رسول الله ﷺ. وروى عنها الكثيرون ممَّنْ عاصرها.

ومن ثمرات علمها أننا نقع على شاهد عجيب لها لا يكون إلا بعد تربية عالية، لا يقوى عليها الرجل الصلب، فما بالنا بالمرأة التي عُرِف عنها الضعف وسرعة

(١) مسند الإمام أحمد ٦/ ٤٣١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣١١.

التأثر أمام النائبات، فهذا ابنها وفلذة كبدها يموت في بيتها فتستسلم لقضاء الله، لأن له ما وهب وله ما أخذ، والإيمان بقضاء الله وقدره من مستلزمات الإيمان بالله عز وجل وأركانه، فنراها ـ كما مرّ بنا ـ بعيدة عن سوء الجزع والعويل، وليس ذلك فحسب، وإنما تتجمَّل أمام زوجها ولا تشعره بالمصيبة، وتستعمل معه المعاريض حين سألها عن ابنه المريض، حتى إذا وجدت الفرصة المناسبة مضت تحاوره: لو قوماً سألوك أن ترد عاريتهم، فبأي شيء يكون جوابك؟ وبعد هذه المقدمة أخبرته بوفاة ولده. وتذكر بعض الروايات أنّ انفعالاً شديداً كسا وجه الرجل حين علم النبأ، فيا سبحان الله! امرأة تستقبل وفاة ابنها بمثل هذا الصبر والتثبت حتى يصل الأمر إلى أن تفوق زوجها. ولا يكون هذا إلا بعد تربية وفَهْمٍ لحقيقة الأمور، الأمر الذي اكتسبته هذه الصحابية الجليلة، وكأني بها وقد تمثلت قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1].

وتبيَّـن لنا من خلال جَدَلها مع أبي طلحة قبل أن

---

(١) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

يصبح زوجها، وقد عرض عليها الزواج، تبين لنا قوة حجتها ونصاعة جدلها، فهي لم تعرض عليه الإسلام إلا بعد أن بيَّنت له بالدليل العقلي فساد عقيدته، فقالت له: «ألست تعلم أن إلـٰهك الذي تعبد نبت من الأرض» ثم أثارت تفكيره ووجّهته إلى إعمال فكره بقولها: «أفلا تستحي أن تعبد شجرة».

ومن ثمرات فقهها وعلمها أنها رضي الله عنها لا تتخذ من مهر المرأة مناسبة سانحة لكسب عَرَضٍ من أعراض الدنيا، كما يفعل كثير من نساء زماننا أو أولياء أمورهن، وإنما تعلمت من مدرسة النبوة أن هذا أمر مبني على التيسير وقلة المؤونة، فها هي تطلب من أبي طلحة مهراً لها وهو إسلامه، وهي بذلك ترغِّبه في الإسلام من جانب، وتُعَلِّم أخواتها المسلمات من جانب ثان أن الزواج ليس سلعة بيد المرأة تستغلها لترهق الزوج، فهو ارتباط وثيق مبني على المودة والتفاهم قبل أن يكون مبنياً على مادة وأعراض دنيوية. ومن هنا قال في صفة الصفوة[١]: «فما سمعنا بمهرٍ قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلام».

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣٦.

وقد عُرف عن أم سليم رضي الله عنها تطبيقها العملي لما تعلَّمَتْه من الرسول ﷺ من علمٍ شرعي، وحكم فقهي. ومن شواهد ذلك أن الرسول ﷺ علَّم النساء أنّ النواح على الميت أمر غير جائز في حقهن، وقد ذكرت أم عطية أن أم سُليم كانت من الصحابيات اللواتي وفّت بهذا التوجيه[1].

وتبيَّـن لنا في أوائل البحث أنها أحاطت بابنها أنس رضي الله عنه ـ بعد وفاة زوجها الأول ـ تُرَبِّيه على الإسلام وأدبه وفقهه حتى لمست منه الثقة في قدرته على أن يكون في بيت رسول الله ﷺ خادماً أميناً، صحيح أن هذا شاهد على محبتها للنبي الكريم ﷺ، ولكنه شاهد آخر على قدرتها على تربية النشء في ظل الإسلام، فاجتهدت أن ترفض الزواج حتى تتفرغ للوليد فتعطيه من علم النبوة الذي تعلَّمته واكتسبته. وكثير من النساء اليوم لا يحرصن على هذا الجانب حرصهن على إطعام الولد وإلباسه وعيشه في دلال ورفاهية، وهنّ بذلك يغفلن عن جانب التعليم والتربية. ويقرّ أنس بن مالك رضي الله عنه بتربية

---

(١) أنس بن مالك، ص ٤٠.

أمه الراقية الفاعلة فيقول: «جزىٰ الله أمي عني خيراً، لقد أحسنت ولايتي»[1].

وفي صدد معرفتها بالسنة وحرصها عليها أنها في حادثة ولادتها لابنها عبد الله لم تنشغل عن السُّنة التي تعلَّمتها من رسول الله ﷺ في هذا الظرف، حيث أتت بتمرات وأرسلتها مع ولديها إلى النبي ﷺ ليحنكه، فهي بذلك تسعى في تطبيق السنة على يد صاحب العلم والبركة. ويذكر ابن سعد[2] ذلك فيقول: وكان اليوم السابع قالت أم سُليم: اذهب بهذا الصبي وهذا المكتل وفيه شيء من تمر إلى رسول الله ﷺ حتى يكون هو الذي يحنكه ويسميه. فمدَّ النبي ﷺ رجليه وأضجعه وأخذ تمرة فلاكها ثم مجَّها في فيِّ الصبي، فجعل الصبي يتلمظها.

وإذا كانت أم سُليم قد بلغت في العلم ما بلغته، فليس ذلك بغريب عن منهج الإسلام في الحض على العلم الشرعي وكسبه، إننا نمر بكثير من الصحابيات

(١) الإصابة ٤/ ٤٦١.
(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٣١.

اللواتي عُرِفَ عنهن هذه الخصيصة العلمية. عن أبي موسى الأشعري قال[1]: ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يشكُّون في شيء إلا سألوا عنه عائشة رضي الله عنها.

وعن قبيصة بن ذؤيب قال[2]: كانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ.

وعن أبي سلمة رضي الله عنه قال[3]: ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ، ولا أفقه في رأيٍ إن احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلت ولا فريضة، من عائشة رضي الله عنها. وكانت عائشة رضي الله عنها تفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت يرحمها الله[4].

ولا يخفى علينا مكانة أم سلمة في العلم الشرعي حيث كانت تعدُّ من الصحابيات الفقيهات العالمات بأحكام الشرع، وما يتصل به[5].

---

(١) الطبقات الكبرى ٤/ ١٨٩، حياة الصحابة ٣/ ٢٦٢.
(٢) الطبقات الكبرى ٤/ ١٨٩، حياة الصحابة ٣/ ٢٦٢.
(٣) الطبقات الكبرى ٤/ ١٨٩، حياة الصحابة ٣/ ٢٦٢.
(٤) حياة الصحابة ٣/ ٢٦٣.
(٥) انظر أم سلمة من سلسلة أعلام المسلمين ص ٥٠.



الفَصۡل العَاشِر

وفاتها

يبدو أن أم سُليم عاشت حتى شهدت مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه. فقد أخرج ابن كثير[1] عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قالت أم سُليم لما سمعت بمقتل عثمان رحمه الله: «أما إنهم لم يحلبوا بعده إلا دماً». وذكر في الأعلام[2] أن وفاتها كانت نحواً من سنة ٣٠ هـ. والحقيقة أننا لا نقف على أية رواية تفيد أن لها مشاركة في أحداث العصر كالفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، أو الفتنة بين علي وعائشة رضي الله عنهما في موقعة الجمل. وهذا يؤكد وفاتها في حدود سنة ٣٠ من الهجرة.

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١٩٥.

(٢) الأعلام للزركلي ٣/ ٣٣.



ملحـق بطائفة من الأحاديث
التي روتها أم سُليم رضي الله عنها

طائفة من الأحاديث
التي روتها في مسند الإمام أحمد

١ ــ قالت أم سُليم: يا رسول الله أنس خادمك ادع الله له، قال: فقال ﷺ: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته». قال أنس: أخبرني بعض ولدي أنه قد دفن من ولدي وولد ولدي أكثر من مئة.

٢ ــ كان بين ابن عباس وزيد بن ثابت في المرأة تحيض بعدما تطوف بالبيت يوم النحر مقاولة في ذلك.

فقال زيد: لا تنفر حتى يكون آخر عهدها بالبيت.

وقال ابن عباس: إذا طافت يوم النحر وحلت لزوجها، نفرت إن شاءت ولا تنتظر.

فقالت الأنصار: يابن عباس إنك إذا خالفت زيداً لم نتابعك. فقال ابن عباس: سلوا أم سُليم. فسألوها

عن ذلك فأخبرت: أن صفية بنت حيـي بن أخطب رضي الله عنها أصابها ذلك، فقالت لها عائشة: الخيبة لك حبستينا. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تنفر. وأخبرت أم سُليم أنها لقيت ذلك فأمرها رسول الله ﷺ أن تنفر.

٣ ــ دخل النبي ﷺ علينا وقربة معلقة فيها ماء فشرب النبي ﷺ قائماً مِنْ في القربة، فقامت أم سُليم إلى في القربة فقطعته.

٤ ــ قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمَيْن يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته» قالها ثلاثاً. قيل: يا رسول الله واثنان، قال: «واثنان»[١].

طائفة من الأحاديث التي رواها أنس عن أم سُليم في صحيح البخاري

١ ــ جاءت أم سُليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «إذا رأت الماء»،

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦/ ٤٣٠.

فغطت أم سلمة ـ تعني وجهها ـ وقالت: يا رسول الله وتحتلم؟ قال: «نعم، تربت يمينك، ففيم يشبهها ولدها»؟[1].

٢ ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «اشتكى ابن لأبي طلحة، قال: فمات وأبو طلحة خارج. فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحَّتْهُ في جانبِ البيت. فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسُه، وأرجو أن يكون قد استراح. وظن أبو طلحة أنها صادقة. قال: فبات. فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ، ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منهما، فقال ﷺ: «لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما»[2].

٣ ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ على أم سُليم، فأتته بتمر وسمن، قال: أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه فإني صائم. ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة، فدعا لأم سُليم

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٧٦.

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

وأهل بيتها. فقالت أم سُليم: يا رسول الله إن لي خُوَيْصةً. قال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس. فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به: اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له. فإني لمن أكثر الأنصار مالاً. وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة»[1].

٤ ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ. قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم وإنهما لمشمرتان أرى خَدَم سُوقِهنَّ تنقزان القِرَب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم»[2].

٥ ــ عن أم سلمة: «أن أم سُليم قالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت؟ قال: «نعم، إذا رأت الماء». فضحكت أم سلمة، فقالت: تحتلم المرأة؟ فقال

---

(١) فتح الباري ٤/ ٢٦٨.

(٢) فتح الباري ٦/ ٩١ ـ ٩٢.

رسول الله ﷺ: «فيما يشبه الولد»[1].

٦ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال أبو طلحة لأم سُليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت يدي ولاثَتْني بِبَعْضِهِ ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبتُ به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «أأرسلك أبو طلحة»؟ فقلت: نعم، قال: «بطعام»؟ قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لِمَنْ معه: «قوموا» فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سُليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي يا أم سُليم ما عندكِ»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ، وعصرت

---

(١) فتح الباري ٦/ ٤١٧.

أم سُليم عُكَّة فَأَدَمَتْهُ، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة». فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأَذِن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأكل القومُ كلهم حتى شبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً»[1].

٧ ــ عن أنس: «أن أم سُليم كانت تبسط للنبي ﷺ نِطعاً فيقيل عندها على ذلك النطع، قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة، ثم جمعته في سُكّ وهو نائم. فلما حضر أنس ابن مالك الوفاةُ أوصىٰ إليّ أن يجعل في حنوطه من ذلك السك. قال: فجُعِل في حَنوطه»[2].

---

(١) فتح الباري ٦/ ٦٧٨ ـ ٦٧٩.
(٢) فتح الباري ١١/ ٧٣.

الخاتمة

أيتها الداعية الفاضلة أم سُليم، يا مَنْ لم تشغلك الدنيا بما فيها من زينة وبهرجة عن التطلع نحو الأفضل. . . لقد آثرت إسلام زوجك ورضيت به مهراً، وزهدت بالمال والمتاع. . . لقد كانت نظرتك دائماً نحو الترقي بالمرأة المسلمة، وأعطيت درساً صادقاً للآباء والأمهات في عدم المغالاة في المهور، وآثرت الباقية على الفانية.

للّه درك يا أم سُليم، لا زلت تحوطين رسول الله ﷺ برعايتك وعطفك وتؤثرينه على نفسك وأولادك من أجل إدخال السرور إلى قلبه ﷺ. .

ما أروعك يا رميصاء وأنت تحملين خنجرك تدافعين به عن نفسك وعن رسول الله ﷺ يوم حنين، لم

يمنعك من ذلك جنينك الذي بين أحشائك... لقد أعطيت المرأة المسلمة درساً في البطولة والبسالة، فهي لم تخلق لتقوم على خدمة زوجها وبيتها فحسب، بل بيّنت لها دورها الكبير في بناء هذا المجتمع.

لقد جاء بحثي هذا عن السيدة الفاضلة أم سُليم في عشرة فصول: تحدثت في الفصل الأول عن اسمها وكنيتها ولقبها، فقد اشتهرت رضي الله عنها بكنيتها - أم سُليم - واختلفوا في اسمها كما بيَّنا ذلك في موضعه.

ثم تحدثت في الفصل الثاني عن أسرتها التي تضمنت أبويها وأخويها وأختها رضي الله عنهم جميعاً.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن زواجها الأول الذي كان من والد أنس بن مالك رضي الله عنه، وزواجها الثاني وكيف تمّ من أبي طلحة رضي الله عنه، ذلك الصحابي الجليل الذي كان دائماً سباقاً للخير.

وفي الفصل الرابع: تحدثت عن أولادها بالتفصيل أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ وإخوته لأمه أبي عمير وعبد الله، رضي الله عنهم جميعاً.

وبيَّنت في الفصل الخامس: إسلامها ومشاركتها لرسول الله ﷺ في غزواته، وخروجها دائماً معه رضي الله عنها، فهي لم تفارقه أبداً في حلِّه وترحاله. وهذا مما جعلها تقترب أكثر من رسول الله ﷺ، وقد دفعه هذا ﷺ إلى مبادلتها حباً بحب، وعطفاً بعطف، حتى قال ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء».

ومما اشتهرت به رضي الله عنها حسن تبعلها لزوجها، وقد ذكرت ذلك بالتفصيل في الفصل السادس، وتبيَّن لنا كيف كان نتيجة صبرها على فقدها ولدها، وحسن تبعّلها لزوجها أن عوَّضها الله خيراً مِنْ ولدها الذي أُخذ منها.

وتحدثت في الفصل السابع عمّا خصها به الرسول ﷺ وما ميَّزها به عن غيرها، وذكرت كيف أنه ﷺ كان كثيراً ما يعرِّج علىها ويقيل عندها، وفاءً منه ﷺ لما كان يراه منها من عطف عليه، وإيثار على نفسها.

ثم ذكرت في الفصل الثامن محبتها العظيمة لرسول الله ﷺ وحرصها على التبرك بآثاره الشريفة رضي الله عنها.

ولم أنْسَ علمها، فقد خصصت له الفصل التاسع وشملته بالرعاية والعناية ليظهر لنا بصورة نيّرة واضحة.

ثم في الفصل العاشر أشرت إلى سنة وفاتها رضي الله عنها، وأرجو أن أكون قد وفقت إلى الصواب في ذلك.

وأخيراً هذه هي سيرة الصحابية الجليلة أم سُليم بنت مِلْحان رضي الله عنها أضعها بين يدي أخواتي المسلمات لتنير لهنَّ طريق الحياة ولتكون نبراساً ومشعلاً مضيئاً، تجلي لهنَّ دربهن، وتظهره واضحاً جلياً أمام نسائنا وأخواتنا وفتياتنا، سائلين المولى عز وجل للجميع الهداية والتوفيق والسداد دائماً.

أم بلال

٦/ ١٢/ ١٤١٥ هـ

المراجع

- أنس بن مالك: عبد الحميد طهماز ـ دار القلم ـ دمشق ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير، بيروت، دار إحياء التراث، مصورة عن طبعة طهران، ١٣٧٧ هـ.
- الإصابة لابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ، مطبعة السعادة، مصر.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، على حاشية كتاب الإصابة، مطبعة السعادة، ١٣٢٨ هـ.
- أعلام النساء، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
- الأعلام، للزركلي، بيروت ١٩٨٤ م.

ـ إحياء علوم الدين، للغزالي، دار الفكر، بيروت، مصورة عن طبعة لجنة نشر الثقافة، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.
ـ البداية والنهاية، لابن كثير، بيروت، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م.
ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، لأبي الحجاج، الهند، ١٤٠٣ هـ.
ـ تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق الشيخ محمد عوامة. دار الرشيد، حلب، سوريا، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م.
ـ تلخيص المتشابه، للخطيب البغدادي، تحقيق: سكينة الشهابي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
ـ تهذيب الكمال، للمزِّي، تحقيق بشار عواد، بيروت.
ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، القاهرة، المطبعة المنيرية.
ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد، الهند، ١٣٢٥ هـ، الطبعة الأولى مصورة.
ـ حياة الصحابة، للكاندهلوي، تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم ـ دمشق.
ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، بيروت، دار الكتاب العربي.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم ـ دمشق.
- الرحيق المختوم للمباركفوري، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م، بيروت.
- رياض الصالحين، للإمام النووي أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
- زاد المعاد، لابن القيم، راجعه طه عبد الرؤوف طه، مطبعة الحلبي، مصر ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- أم سلمة، العاقلة العالمة أم المؤمنين، أمينة عمر الخراط، أعلام المسلمين، دار القلم ـ دمشق ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود، إعداد عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص ـ سوريا، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م.

ـ شرح النووي على صحيح مسلم، دار الفكر ـ بيروت، طبعة مصورة.
ـ شذرات الذهب، لابن العماد، طبعة مصر، ١٣٥١ هـ.
ـ صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ بيروت، دار إحياء التراث العربي.
ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، الطبعة الثانية، حيدر آباد، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.
ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
ـ فتح الباري، لابن حجر، طبعة دار الفكر، نشر مكتبة الرياض الحديثة.
ـ الكاشف في معرفة مَنْ له رواية في الكتب الستة، للذهبي، تحقيق: محمد عوامة وأحمد الخطيب، دار القبلة ـ جدة.
ـ كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

- لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.
- المغازي للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت.
- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
- المغني في ضبط أسماء الرجال، للعلامة محمد طاهر الهندي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
- المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية، للبيجوري، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م، مطبعة البابي الحلبي في مصر.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر ـ بيروت، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.



الفهـرس

الموضوع	الصفحة